

الإنتداب الفرنسي الغاشم على سوريا

أحداث ما قبل ومجرى وقائع معركة ميسلون وفرض الإنتداب الفرنسي إلى أن تم الجلاء في ١٧ نيسان ١٩٤٦

كما وردت في مذكرات المجاهد المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير

الانتداب الفرنسي الغاشم على سوريا

أحداث ما قبل ومجرى وقائع معركة ميسلون وفرض الانتداب الفرنسي إلى أن تم الجلاء في ١٧ نيسان (إبريل) عام ١٩٤٦ م

كما وردت في مذكرات المجاهد المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير الذي قاد الفرقة الأولى في معركة ميسلون برتبة قائم مقام (عقيد)

مقدمه

من أسرة المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير

١. نزولا عند رغبة والدنا "المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير"، وتنفيذا لوصيته رحمه الله، وذلك بطبع ونشر مذكراته والتي كان قد كتبها بخط يده موثقا"فيها بأمانة الأحداث التاريخية التي شارك بها في كل من سوريا ، شرقي الأردن ، الحجاز و اليمن وذلك خلال الحقبة الزمنية بداية من عام ١٩٢٠ وحتى عام ١٩٤٨.

٢. كرسنا في هذه الوثيقة الجزء الخاص من مذكراته والتي كتب فيها سردا للأحداث التاريخية التي حصلت في سوريا خلال المرحلة الزمنية التي سبقت زمن الإنتداب الفرنسي على سوريا ، وكذلك تفاصيل مجرى معركة ميسلون التي قادها المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير بصفته آنذاك قائدا" للفرقة الأولى بلواء دمشق في عهد الحكومة الفيصلية برتبة عقيد(قائم مقام) ،برفقة البطل الشهيد يوسف العظمه الذي كان وزيرا للحربية، إضافة إلى ذلك بعضا من الوقائع التاريخية و الأحداث التي حصلت خلال مرحلة الانتداب على سوريا وحتى الجلاء.

٣. وقد نقلت الوقائع والوثائق الواردة في هذا الكتيب طبقا عن الأصل من الجزء الثاني من المذكرات كما ضمن الكتيب أيضا بعضا من ما ورد في الجزء الثالث والسادس من المذكرات والتي دوّنت وقائع ترتبط أحداثها بسوريا . وتوخيا للدقة والموضوعية فقد حرصنا على طبع هذا الجزء من المذكرات مستخدمين نفس العبارات و الأسلوب الذي كتب بها المرحوم مذكراته دون إجراء أي تعديل على صياغتها.

٤. نرجو من المولى عز وجل أن نكون قد وفينا بذلك جزءا من الأمانة الملقاة على عاتقنا وساهمنا في توضيح أحداث مرحلة مهمة من تاريخ بلدنا الحبيبة سوريا كما وردت في مذكرات المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير ونأمل من أن نتمكن قريبا من استكمال نشر باقي أجزاء مذكراته التي دونت الأحداث التاريخيّة التي شارك بها في كل من شرقي الأردن ، الحجاز، واليمن .

أبناء و بنات المرحوم
الفريق حسن تحسين باشا الفقير





لمحة عن حياة وجهاد
الفريق حسن تحسين باشا الفقير

١. ولد الفريق حسن تحسين باشا الفقير في دمشق عام ١٨٨٠ ميلادية.

٢. تخرج من المدرسة الرئيسية الثانوية بدمشق. ثم إلتحق بالكلية الحربية في أسطنبول وتخرج منها برتبة ملازم ثان عام (١٩٠٥م) إ تبع بعدها دورة ضابط ركن . ونظرا لتفوق أدائه في الدورة فقد اختير مدرسا في الكلية الحربية العثمانية. وبعد إعلان الحرب نقل للعمل وحدات الجيش العثماني المقاتلة ورقي في رتبه حتى بلغ رتبة قائم مقام (عقيد).

٣. خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨) ندب للخدمة في الفرقة العربية العاملة في الجبهة الأوربية حيث أبلى بلائا حسنا" في كل من حرب البلقان وجبهة رومانيا وأظهر فيهما كفاءة ممتازة (هو من اخترق بقواته خط دفاع نهر الدانوب ودخل مدينة بوخارست عاصمة رومانيا) حيث ثبت بعد تحقيق هذا الانتصار قائدا" للفرقة العربية.

٤. بعد أنتصاره على القوات الرومانية اسندت إليه قيادة جبهة (زغانا أمام نهر السرت وقلعة قلص) حيث أظهر أيضا الكثير من الحنكة والقدرات القتالية منح على أثرها وسام الصليب الحديدي الألماني من القيادة الألمانية (التي كانت حليفة للدولة العثمانية) كما منح النيشان المجيدي الخامس ، والنيشان المجيدي الرابع . وميدالية الحرب وميدالية اللياقة ، وميدالية الإمتياز الفضية من الدولة العثمانية.

٥. عاد إلى دمشق عام ١٩١٨ م وكان على رأس الضباط العرب السوريين الذين عملوا على إنشاء الجيش العربي السوري الأول في عهد الملك فيصل الأول. وتم تنصيبه قائدا للفرقة النظامية الأولى في الجيش السوري المكلفة بالدفاع عن لواء دمشق.

٦. قام بقيادة معركة ميسلون ضد القوات الفرنسية التي غزت سوريا بصفته قائد الفرقة الأولى في عهد الحكومة الفيصلية وكان الشهيد يوسف العظمه بذلك التاريخ وزيرا" للحربية و قدم رحمه الله إلى أرض المعركة للإطمئنان على سيرها .واستشهد بعد بدئها بساعتين حيث تابع

القائم مقام (آنذاك) حسن تحسين الفقير قيادة المعركة مع عدد قليل من المقاتلين مقابل القوات الفرنسية المتفوقة عدة وعددا" .

٧. بعد معركة ميسلون حوكم غيابا من قبل السلطات الفرنسية وحكم عليه غيابيا بالسجن لمدة (٧) سنوات لاشتراكه في الحث على إشعال الثورة السورية ضد الإحتلال الفرنسي. حيث اضطر إلى مغادرة سوريا وإلتجأ إلى شرق الأردن محتفظا بعلم معركة ميسلون.

٨. (العقاب) والذي كان يعتبر رمزا للقوات السورية. وكان قد أقسم بالله وشرفه العسكري أن يحميه ويزود عنه بدمه عند مراسم تسلمه العلم من جلالة الملك فيصل . حارما بذلك سلطات الإحتلال الفرنسي من شرف الحصول على العلم الذي حاربهم السوريون تحت رايته في معركة ميسلون . ولاحقا حكم عليه بالإعدام نتيجة لترشيحه من قبل قادة الثوار المجاهدين(ومنهم الرئيس الراحل المناضل فخامة شكري بك القوتلي) في قيادة الثورة السورية ضد الإحتلال الفرنسي الغاشم.

٩. بتكليف من سمو الشريف الحسين بن علي أسند إليه تشكيل قوات (سميت سرايا الملح) وكانت مهمة هذه القوات الدفاع عن أراضي الحجاز ومنع غارات الوهابيين عليه

١٠. عمل في الأردن تحت إمرة سمو الأمير عبد الله بن الحسين وكان من الضباط العرب القياديين الذين عملوا على إنشاء الجيش العربي الأول في شرقي الأردن . حيث عمل مستشارا للأمير عبد الله وفي قيادة الأمن العام. ومن ثم حاكما للسلطة وقائدا للجيش العربي في معان وعمّان. خلال هذه الفترة رفعّ بتاريخ ٢٠ آب ١٩٢٣ إلى رتبة أمير لواء (جنرال) .غير أن السلطات الإنكليزية وعلى رأسها كلوب باشا طلبت من الأمير عبد الله بن الحسين الأول أمير شرقي الأردن العمل على إبعاده عن الجيش الأردني وذلك خشية من نزعته القومية ومواقفه الوطنية.

١١. ومن ثم كلف من قبل الأمير عبد الله السفر إلى جده لمساعدة شقيقه الملك علي بن الحسين بالدفاع عن الحجاز ومحاربة وردّ قوات الوهابييّن الغازية .ومن ثمّ عين من قبل الملك علي القائد العام للجيش ولاحقا وزيرا

للحربية، حيث صدر بعام ١٣٤٣ هجريه إرادة ملكيه بتولي الفريق حسن تحسين باشا الفقير وزارة الحربية في حكومة الحجاز.

١٢. في أوائل عام ١٩٣٠ أرسل سمو سيف الإسلام محمد ابن إمام اليمن بطلبه إلى اليمن للاستعانة بخبرته في تطوير الجيش اليمني حيث عين مستشارا لجيش الدفاع اليمني . واستمر ذلك في عهد الإمام يحيى حميد الدين لغاية عام ١٩٤٤ م.

١٣. عاد إلى دمشق مسقط رأسه في عام ١٩٤٥ وحضر إحتفالات عيد الجلاء السوري .

١٤. قام بتسليم علم معركة ميسلون (العقاب) في عام ١٩٤٦ إلى معالي وزير الدفاع أحمد الشرباتي بالوكالة عن فخامة الرئيس شكري بك القوتلي وذلك في احتفال رسمي تم أمام المتحف الوطني بتاريخ ١٩٤٦/٩/٢٨ وذلك بمشاركة فرق تمثل جميع القطاعات المسلحة من للجيش السوري والأمن العام (الشرطة) والدرك مرفقا الصورة التذكارية المأخوذة لمراسم تسليم العلم أمام المتحف الوطني السوري بدمشق

١٥. تمكن المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير وقبل أن ادركته المنيّة بنشر جزئا كاملا من مذكراته الخاصة بمعركة ميسلون في تموز ١٩٤٦ في مجلة الجندي السوري. ومن ضمنها وقائع وأحداث سياسية وعسكرية من تخطيط وتدريب وتحضير السلاح والمعدات المتواجد آنذاك وأوامر لحل الجيش وسحب المعدات من ارض المعركة ثم الغاء القرار وخوض المعركة بما تبقى من الجيش والمعدات وما سبب ذلك من انعكاسات سلبية على مجرى وأحداث المعركة حيث كان بدوره قائدا لها. وكان برفقته الشهيد يوسف العظمه وزير الدفاع والدي أستشهد في هذه المعركة نتيجة لما جاء أعلاه وللخيانة والغدر والتي اخذت نصيبا كبيرا في مجرى المعركة وما تبعها من نتائج عن هذه الفاجعة والكارثة الأليمة .

١٦. لقد أحتفظ ورثة المرحوم بهذه الوثيقة التاريخية ردحا من الزمن وتم ايضا نشر البعض منها وللمرة الثانية بما يخص سوريا ومعركة ميسلون، أولا من قبل إبنه الأستاذ الدكتور محي الدين تحسين الفقير في جريدة البعث بالعدد رقم ٧٤١٨ بتاريخ ١٩٨٦/٧/٢٣ بالعدد رقم ٧٤١٩

بتاريخ ١٩٨٦/٧/٢٤، وثانيا تم أيضا إعادة نشر معركة ميسلون في جريدة البعث تحت ملحق البعث رقم ١٠٠٥ ، بتاريخ ١٩٩٦/٤/١٧ تحت عنوان صفحات مشرقة " من تاريخ عريق " وذلك من قبل إبنه المرحوم الدكتور محمد سليم الفقير.

١٧. خلال الفترة ما بين عام ١٩٤٥ و ١٩٤٨راعه ما تقوم به العصابات الصهيونية من اغتصاب للأراضي العربية والمجازر التي ترتكبها ضد العرب الفلسطينين فقام بالتداول مع فخامة الرئيس شكري القوتلي وبعض القادة السوريّن حول إمكانية تأليف جيش وفرق مقاومة نظاميه خاصة تحت إمرته. وكان في نفس الوقت يقوم بتزويد المجاهدين وعلى رأسهم الزعيم الراحل فوزي بك القاوقجي بإرشاداته وخبرته العسكرية لاستعادة وتحرير الأراضي الفلسطينية المغتصبة، كما كان عازما على تأليف جيش من المتطوعين العرب ومن بينهم عرب اليمن لمحاربة عصابات الصهاينة.

١٨. وافته المنية يوم الأربعاء الموافق ١٩٤٨/٧/٢١ بعد إعلان الهدنة الأولى بين الدول العربية ودولة العصابات الصهيونية.

١٩. والأمر الذي يثير بعض التسائل أن وفاته حصلت خلال زيارته من قبل إثنان من الأوربيين بدعوى أنهما طبيبين قد قدما من ألمانيا خصيصا لزيارته في منزله .وبعد قيامهما بفحصه إدعيا أنه قد أصيب بنوبه دماغيه حادة نتيجة لأرتفاع في ضغط دمه، وبناءا على هذا الإدعاء قاموا بحقنه بأبرة خاصة بحجة القيام بعلاجه .إلا أنه فارق الحياة بعد حقنه بتلك الإبره بقليل . وحسب الإفادة من أولاده والذين كانوا في المنزل أنذاك ،اختل توازنه عند دخوله للحمام ووقع فجأة على الأرض وتفجر الدم من فمه وانفه وأذنيه وازرّق وجهه. وحدث ذلك مباشرة بعد نصف ساعة لإستقباله لهم .وغادر الرجلان المنزل بدون عوده بعد ان فحصوه ثانية وهو مستلقيا على أرض الحمام وتأكدوا انه فارق الحياة، وبدون إعلام أسرة المرحوم عنوانهم في دمشق، أو الانتظار لمقابلة الطبيب الشرعي حسب الأصول المعتمد في مثل هذا الحدث.

٢٠. دفن المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير في مقبرة باب الصغير بدمشق وصلّي على جثمانه الطاهر في الجامع الأموي بمدينة دمشق

وذلك بعد أن أقيم له جنازة رسميه مهيبة تليق بما أدّاه من خدمات جليلة لأمته العربية. وإشتركت بمراسم الجنازة وحدات رمزيه تمثل كل من قوات الشرطة والدرك و الجيش السوري بالاضافة إلى مسيرة شعبيه حاشده. تغمده الله برحمته وأدخله فسيح جنانه.



الفريق بالزي العسكري



فوزي القاوقجي مع ثلاثة من المجاهدين



فوزي القاوقجي مع بعض رجاله



الأوسمة وأسلحة المراسم الخاصة بالفريق



الشريف الفريق حسن تحسين باشا الفقير ١٨٨٠م – ١٩٤٨م

تقــدمـــه

بقلم الأستاذ سهيل العشى
لمذكرات
الفريق حسن تحسين باشا الفقير

مخوطة الفريق حسن تحسين باشا الفقير كذلك قائد معركة ميسلون وثيقة خطيرة الشأن، جديرة بالتقدير والثناء. فهي تلقي الأضواء على ما سبق هذه المعركة وما رافقها وأحداثها وأشواكها. تحتل معركة ميسلون مكانا فريدا في تاريخ سورية المعاصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. لقد كانت رمزا بطوليا للشعب العربي الخارج لتوّه ينشد الحرية والإستقلال بعد ما يزيد على أربعمائة سنه من ظلام الحكم ، يرفع راية الثوره لتحقيق آمانيه.

لقد كانت رمزا لشعب يرفض الإستسلام لمقررات الطغاة ، القاضية بإحتلال بلد تحت شعار الإنتداب، وخاض معركة شرف وإباء في ميسلون ، تضافرت عليه الأسباب من كل جانب لتكون هذه المعركة آخر عقبة أمام الفرنسيين ليدخلوا دمشق في تاريخ ١٩٢٠/٧/٢٤.

سقط وزير الدفاع يوسف العظمه فيها شهيدا وسطّر باستشهاده صفحة من نور، عنوان فخار وإعتزاز ، فقد آلىً على نفسه أن لا يدخل العدوّ إلا علئ جثته ، وقد فاضت روحه الطاهرة فيما نذرت نفسه لها. وإستشهد كثيرون إلى جانب يوسف العظمه يشاركونه عزة الشهادة والإباء وإستحقوا إحترام الوطن وإجلاله الكبير .

ولا بد، قبل أن أترك إلى القارئ الكريم بأن يستمتع بقراءة مخطوطة المرْحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير من أن نحيطه بموجز عن الظرْوف التي أحاطت بهذه المعركة الخالدة . وهي سياسيـة وإجتماعيـة وعســكريـة .

<u>الظروف السياسية :</u>

وضعت الحرب العالميـة الأولى أوزارها في ١١- ١١- ١٩١٨. وكان قد

سبقها قيام الثورة العربية الهاشمية بتاريخ ١٠- ٦- ١٩١٦ يالإتفاق مع البريطانين ، الذين بدورهم وعدوّ الشريف حسين بن علي بتحقيق الوحدة ألعربيه بعد إنتهاء الحرب . ولكن إبرام إتفاقية بريطانيا وفرنسا في معاهدة " سايكس بيكو " في غفلة من العرب ، التي تم الموافقة عليها في سانت ريمو والمصادقة عليها لاحقا من عصبة الأمم ، أجهضت أحلام العرب، وجلس البريطانيون إلى جانب الفرنسيين بين المنتصرين يتقاسمون الشرق الأدنى تطبيقا للإتفاق القائم بينهم بالرغم من رغبة البريطانيين بالسيطرة كامل المنطقة من مصر ضمنا إلى فلسطين ولبنان وسورية والعراق . (ولم تكن إمارة شرق الأدنى –الأردن حاليا - قد ولدتها بريطانيا بعد) .

ولم يتمكن الملك فيصل الأول عن طريق عصبة الأمم ، ولا بالحوار والنقاش مع بريطانيا و فرنسا، يحّدْ وإيقاف مطامع فرنسا بتمسكها وإصرارها على إحتلال وإنتداب سوريا، والحفاظ على مملكته الحديثة ، حيث أن إتفاق الحلفاء وتمسك فرنسا بإنتدابهم لسوريه ولبنان، كانا أقوى من جميع المحاولات التي بذلها الملك فيصل .

صدرت الأوامر الفرنسية إلى الجنرال غورو الذي كان غي أعقاب الحرب العالمية الأولى في أراضي كيليكيا أن يتقدم نحو لبنان ومن ثم سورية . وصل إلى لبنان و لم يجد أي صعوبة تعترضه بإقامة مركز قيادة وتوزيع قواته، زاحفا نحو دمشق تتمة للمهمة المكلف بها.

أصدر غورو أمره للجنرال غوابيية من على رأس رتل فرنسي بالإتجاه نحو دمشق منطلقا من سهل البقاع حيث تجمعت القوات . ووجه إنذاره المشهور إلى الملك فيصل يشترط عليه حل قواته المسلحة وفتح الطريق أمامه للوصول إلى دمشق دون مقاومة ومغادترته سوريا وقبول العملة الورقية وغير ذلك .

إستشار الملك فيصل معاونيه ومستشاريه و لم تتوحد الكلمة على تقرير المصير ، ولكن كفة المقاومة رجحت، ونجح يوسف العظمه ، بإعلان المقاومة وإستنفار جميع القوى المتوفرة لوضعها في المعركة .

وبالرغم من ان الملك فيصل قبل في الساعات الأخيرة ذلك الإنذار، إلا أن الجنرال غورو تجاهل وصول الجواب إليه وأصدر أوامره لمتابعة الزحف نحو دمشق.

ولا بد لنا من الإشارة إلى حضور لجنة أمريكية لإستقصاء الحقائق برئاسة السيد كراين، والتي إستلمت من المؤتمر السوري بشخص رئيسه هاشم الأتاسي تمسك الشعب السوري بإستقلاله وحريته. و كان ذلك بتاريخ ٣- ٧- ١٩١٩.ولكن شيئا من هذه اللجنة لم يصدر في ذلك الحين.

وأما السياسة الداخلية السورية، فكان يهيمن عليها ذلك المؤتمر السوري برئاسة هاشم الأتاسي والذي كان يضم السوري والعراقي واللبناني والفلسطيني . وكانت صفوف الشعب تؤيد ملكية فيصل بن الشريف الحسين بن على سوريا. ولكن كان هناك بعض أصوات الاشباب تنادي ولو بصوت غير مرتقع بحكم جمهوري في البلاد .

الظروف الإجتماعية والمعنوية

كان الشعب العربي تواقا لتحقيق وحدة عربية شاملة ذهب ضحيتها و المناداة بها رجال كانوا مشاعل من نور الحق والعزَّة والإباء ، أطفأها السفاح جمال باشا على أعواد مشانق لبنان وسوريه .

لقد ذاق الشعب السوري، كغيره من العرب، أنواع الظلم والإضطهاد والجوع والفقر والمرض والفساد أيام الحكم العثماني ، وما أن إنتهى من هذا العهد إلاّ وهو مُحَّطمُ الإمكانيات و المعنويات، إلا من قيادات نبهته إلى حقه في الحياة الحرة الكريمة ، فوقف مستيقظا يمسح جراح الماضي ويندفع نحو مستقبل مشرق. وقد شدّ ت من أزره ثورة الشريف الحسين بن علي . ولكن سرعان ما صدمته الخيبة بأن البريطانين كانوا وراء الثورة العربية وأنهم باعوا الثورة كلهاو شعوبها وأهدافها وحقوقها، إلى أصدقائهم الذين جمعتهم بهم رايات النصر في أعقاب الحرب وجلسوا يتقاسمون الغنائم في عصبة الأمم.

إهتزت معنويات الشعب وإختلجت خطواته بين مُتَرَنِحْ من توالي الصدمات وبين مؤمن بقضيته حتى الموت.

ورجحت كفة المناداة بالحق. وإلتف الرجال الصادقون حول مبادئهم النبيلة، يرخصون كل شيء في سبيل تحقيقها .

ولكن بعضا من ضعاف النفوس ، جعلوا أكتافهم مطية للعدو فاستطاع الفرنسيون أن يستخدموهم لغاتهم بشتىً الأساليب مدنية وعسكرية وعاشوا فسادا في صفوف المناضلين، سواءً أكان ذلك على المستويات القيادية أو في ساحات القتال .

ولم تكن الحالة الاجتماعية في شتى الأحوار معبأة لصالح المعركة المصيرية ، بل كان يجب على القياديين آنذاك أن يشحنوها بالحماس والنخوة حتى تقف على قدميها تتأهب للتضحية و الفداء .

من بين هؤلاء الذين أتعبتهم الأيام وأرهقهم القهر، وقف رجال عرفوا طريق الحق فاندفعوا لإعلاء كلمته .

وأما السواد الأعظم فلم يكن منظماً لا بأحزاب ولا بغيرها ، فكانت فوضى الرأي سائدة وكانت الدعوى الإيمانية الدينية هي الأقوى والسائدة في تلك الظروف .

لم تكن الظروف الاجتماعية مشجعة ولم تكن الحالة المعنوية كذلك مرضية ، دون أن يفقد الأمل في صحوة تعيد الأمل .

الظروف العسكرية :

لقد تنادى الضباط السوريون والعرب الذين كانوا قي جيش الدولة العثمانية ، إلى تأسيس الجيش في عهد الملك فيصل واحتفظ كلّ برتبته التي كان بها يوم انتهاء الحرب العالمية الأولى. ولم يلتحق بهذا الجيش كل الذين كانوا قي الجيش العثماني ، سواء كان من الضباط أو من صف الضباط . وكلاهما ضروريا في جهات القوات المسلحة .

سارع الملتحقون في الجيش الفيصلي ، إلى تنظيم القوات المسلحة بكل ما استطاعوا إلى ذلك من سبيل، يسابقون الزمن سباقا رهيبا لأنهم كانوا يُقدرون الظروف الصعبة الداخلية والخارجية التي كانت تمر بها مملكتهم الفتية .

أما السلاح فلم يكن لديهم إلا ما بقي عندهم من مخلفات الجيش العثماني ، وقد أتى الفريق حسن تحسين باشا الفقير على تعدادها عندما جرى العرض العسكري بدمشق أنذاك .

ولكن الشيء الملفت جدا للنظر هو ما أتى عليه الفريق حسن تحسين باشا الفقير (حيث كان أنذاك برتبة قائم مقام - أي عقيد -) عندما قام بإحصاء ما في جبهة ميسلون لمعرفة الموجودات من جنود وسلاح وعتاد :-

أ) هنا نرى الفارق رهيبا ولا يمكن تفسيره إلا برُوح إنهزامية سيطرت آنذاك و تخلف كثيرون من اللحاق بالجيش لإداء الواجب الوطني .

ب) نضيف إلى ذلك بان المعركة كانت بحاجة إلى ذخيرة وفيرة وتحصينات قويه إلى جانب الرجال و السلاح، ولم يكن ذلك متوفرا لرفد المعركة في الخطوط الخلفية .

ج) لقد أحاطت أشواك كثيرة هذه المعركة نشير إلى بعضها :-

١. تدخّل القيادات العليا في شؤون قيادة الجبهة في ميسلون سواء كان على الصعيد العسكري أو السياسي .

٢. إختراق العدوّ للصفوف الوطنية في مستوى القيادة وفي زرع الجاسوسية وفي تسخير البعض للمشاركة معه بالسلاح .

٣. تخاذل من بعض العناصر المشتركة في القتال وإستبسال من عناصر أخرى.

٤. غياب الإحتياطي المجدي.

٥. إضطراب الجو السياسي والحكومي مما ينعكس سلبا على جو المعركة و المثل الكبير في ذلك تراجع القوات من منطقة مجدل عنجر إلى ميسلون تاركين وادي الحرير" عنق الزجاجة " حرا أمام زحف الفرنسيين . و قد صدرت ألأوامر بهذا التراجع (من القيادة المركزية في دمشق) ثم إستدركت طلبا لتشكيل الخط الدفاع الثاني ، مما سبب إرتكابا كبيرا في ساحة المعركة سواءً من الناحية التعبوية أو المعنوية .

٦. أما موازين القوى بين الفرنسيين والوطنيين فقد كان لصالح الفرنسيين بالرغم من أن المعركة كانت تجري على الأرض

السورية. فقد كانت القوى الفرنسية تفوق بالعدد وبالتدريب وبالسلاح وبوجود مدرعات لديها بالإضافة إلى الطيران . و يجد القارىء الكريم في المخطوطة ما يشبع رغبته بلإطلاع على التفاصيل .

وقي ظل هذه الظروف القاسية، قبل العقيد حسن تحسين الفقير حمل عبء المسؤولية الكبيرة بالقيادة العامة لمعركة ميسلون بمهمة منع العدو من التقدم نحو دمشق على محور سهل البقاع – وادي الحرير – وادي القرن – يحفوفا – الزبداني شمالاً (سكة الحديد) و راشيا – منطا - دير العشائر جنوباً .

فمن هذا الإنسان الكبير

ولد الفريق حسن تحسين باشا الفقير في دمشق عام ١٨٨٠ م و تخرج من المدرسة الرشيدية الثانوية بدمشق والتحق بالكلية الحربية في استنبول، تخرج منها برتبة ملازم ثانٍ ثم تبع دورة أركان وأختير بعدها مدرساً في الكلية الحربية العثمانية. إنتقل بعدها إلى مختلف القطعات في الجيش العثماني حتى جرى ترفيعه إلى رتبة قائم مقام (أي عقيد) إبان الحرب العلمية الأولى . إشترك في رومانيا بمعركة الدانوب كقائد للفرقة العربية وأظهر من الكفائة والتقدير ما إستحق عليه وسام الصليب الحديدي الألماني كما حمل من الأوسمة العثمانية النيشان المجيدي الخامس والنشان المجيدي الرابع و ميدالية الحرب وميدالية الغايه وميدالية الإمتياز الفضية.

التحق العقيد حسن تحسين الفقير بالجيش الفيصلي عقب إنتهاء الحرب العالمية الأولى آمرا اللواء الأول في عمان ثم آمرا اللواء الأول برتبة " عقيد " عقب إ نتهاء الحرب العالمية الأولى وعين آمرا اللواء الرابع في عمان ثم آمرا اللواء الأول في دمشق ثم آمرا للفرقة السورية الأولى في مسرح عمليات ميسلون.

هذا الرجل الرجل العسكري الفذ حمل مسؤولية قيادة ميسلون وهو يعلم ما يحيط بها من أشواك. ولكنه حمل الأمانة بكل جرأة وإقدام وكفاءة عاليه في مواجهة الصعاب في كل من أنواعها بل وبإثارة الشعور القومي لدى جميع الناس. ولكن المعركة كانت رأسا صالحا دون جسما مستجيب، فكانت الكارثة .

و لقد بقي هذا الإنسان الكبير يحتفظ بعلم معركة ميسلون (العقاب) ضنا منه على هذا العلم من ان تمسه أيادي لايرضاها، حتى عاد إلى دمشق في عام ١٩٤٤ وحيث إطمأن إلى اليد التي تستلم منه هذا العلم الرمز ، وسلمه لجمهورية الرئيس شكري القوتلي في حفل بهيج بتاريخ ١٩٤٦/٩/٢٨.

وقعد عاد الفريق حسن تحسين باشا الفقير إلى بلده بعد أن غادرها على أثر دخول الأفرنسين إليها، غادرها إلى عمان ثم الحجاز كمستشار وقائدا عسكريا للشريف حسين في عمان ثم الحجاز ومن ثم عين وزيرا للدفاع للملك علي إبن الشريف حسين ورقع إلى رتبة فريق ونال لقب الباشا عسكريا . ومن ثم عكف إلي اليمن السعيد مستشارا عسكريا للإمام يحي حميد الدين حتى عام ١٩٤٤ وعاد إلى بلده بعد ان حمل رتبة الفريق والباشا.

لقد أدركته المنية في دمشق عام ١٩٤٨/٧/٢١ رحمه الله ، رحمة وأسعه ، وأسكنه فسيح جنانه الخالدات وأثابه لما قدمه من خدمات لوطنه العربي الكبير .

لقد ترك لنا هذا الإنسان الكبير مخطوطته التي نقدمها للقارئ الكريم . وهي وثيقة خطيرة الشأن في تاريخنا الحديث ، يستحق صاحبها منا كل الإحترام والتقدير والإجلال .

لقد إحتفظ ورثة المرحوم بهذه الوثيقة ردحا من الزمن وبناءا على وصية والدهم وبإعتبار إن هذه الوثيقة التاريخية الخطيرة بقيت أمانة من الفقيد الكبير وفي زمة أبنائه وبناته المتبقين على قيد الحياة ومن حق الناس والتاريخ أن ترى النور وأن تحتل مكانها اللائق بين الوثائق الوطنية الهامة.

سيدرك القارئ الكريم أن هذا الإنسان المجاهد الكبير هو من الرعيل الذي لم تزحزحه المصائب عن جادة الحق وإحتسب الله سبحانه وتعالى في أمره ، وكان من الذين صنعوا التاريخ ولم يبخلوا بأنفسهم وكأنه كان يتمثل شاعرنا الكبير عمر أبو ريشه :

شرف الوثبة أن ترضى العلى غلب الواثب أم لم يغلب

الرحمة والخلود لشهداء الأمة العربية حيث كانوا، ولابطال ميسلون الميامين . وتحية إكبار وتقدير وإجلال لكل ضمير عربي حي يكافح في سبيل مجد أمته وعزتها ، ويرخص النفس في سبيل إعلاء كلمتها والله نسأل أن يسدد الخطى والصواب وأن لايحرم أمتنا من أبطالها الصناديد.

ولابد لي أن أوجه شكري العميق لجميع أفراد أسرة المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير من أبنائه وبناته وأحفاده المتبقين على قيد الحياة حفظهم الله بعنايته ورحمته، وذلك لجهودهم المشكورة لتحقيق جزء من وصية المرحوم والدهم وإتمام تدوين ونشر هذه المذكرات المخطوطة

كما أوجه شكري وإمتناني الكبيرين لكلا من الأخوة والأصدقاء الفاضلين المهندس محمد مأمون السواح (زوج إبنة الفريق) وشقيقه الأستاذ المحامي أيمن السواح وللعميد الركن المتقاعد الدكتور عمر الموصلي (إبن أخت الفريق) لدعمهم أسرة الفربق بنشر هذه المذكرات والوثائق التاريخية.

والله التوفيق

سهيل العشي

تقدمه

بقلم المؤرخ الأستاذ هاني المبارك

لمذكرات

قائد الفرقة النظامية الأولى التي خاضت معركة ميسلون
القائم مقام حسن تحسين الفقير

بدأت قصتي مع مذكرات حسن تحسين الفقير منذ أكثر من ربع قرن، فقد كنت مغرماً و ما زلت بمعركة ميسلون

و بطلها الشهيد يوسف العظمة، و كنت في أحد الأيام ألقي درساً في ثانوية خاصة في دمشق، و كان الدرس عن معركة ميسلون، فقام أحد الطلاب و قال: إن أبي كان قائداً لجبهة ميسلون خلال هذه المعركة و لديه مذكرات عنها.

فقلت: هل يمكنك أن تطلعني عيها؟

في اليوم التالي جائني الطالب المذكور(المرحوم الدكتور محمد سليم الفقير) بمذكرات والده.

عكفت على قراءة تلك المذكرات فوجدت فيها تفاصيل مذهلة زادتني إعجاباً بمعركة ميسلون الاستشهادية البطولية، و تقديراً لكل من شارك فيها من قادة و جنود و متطوعين، و في مقدمتهم وزير الحربية الشهيد يوسف العظمة وأولئك الذين بذلوا دماءهم و قدموا أرواحهم رخيصة في سبيل الدفاع عن عاصمة البلاد دمشق بأقل الإمكانات و أضعف الأسلحة أمام جبروت دولة كانت خارجة من الحرب العالمية الأولى منتصرة، و قد استخدمت في قتالهم أحدث الأسلحة المعروفة حتى ذلك الوقت وأفتكها من مدافع و رشاشات و دبابات و طائرات و فرسان و مشاة.

لقد أفادتني تلك المذكرات بأن زودتني بمعلومات جديدة و دقيقة وموثوقة عن تفاصيل معركة ميسلون واستشهاد البطل يوسف العظمة وأعمال

المتطوعين الأبطال، و أعمال بعض الخونة الذين كان لهم دورسلبي في نتيجة المعركة، و صرت في كل عام حين أصل بدروسي إلى الحديث عن معركة ميسلون استشهد بما ورد عن لسان قائد جبهتها، و أقرأ للطلاب بعض العبارات التي وردت في مذكراته، و لا يخبرك مثل شاهد و خبير.

ثم جاءت الفرصة الطيبة أخيراً حين أطلعني (الدكتور المهندس هشام الفقير) أحد أبناء الفريق حسن تحسين باشا الفقير على مذكرات أبيه كاملة، و شمل الجزء الثاني منها ما كنت قد اطلعت عليه و هو المتعلق بمعركة ميسلون و ما سبقها و ما أعقبها.

و الأجزاء الأخرى من هذه المذكرات تتعلق بما قام به صاحبها من أعمال، و ما رافق ذلك من أحداث قبل وبعد معركة ميسلون، و هجرته من سورية إلى شرقي الأردن و الحجاز و اليمن.

فشكرت له مسعاه في نشر هذه المذكرات و التي تكشف عن جانب من صفحات تاريخ هذه المناطق العربية من رجل رافق أحداثها، و شارك في كثير من وقائعها، و شاهد مجرياتها، فجاءت متممة وموضحة لما عرف و كتب عنها.

أما بالنسبة للجزء الثاني من هذه المذكرات فإنه كما أرى في غاية الأهمية، لأنه لم يكتب عن معركة ميسلون وعن حادثة استشهاد البطل يوسف العظمة وعن الأحداث السابقة و اللاحقة لهذه المعركة من قبل إنسان عادي، بل كتبها قائد جبهة ميسلون حسن تحسين الفقير الذي رافق أحداثها و شارك فيها و كتب بعض التفاصيل عنها كإعداد المشاركين فيها من الطرفي و أنواع الأسلحة المستخدمة فيه ا و خسائر المجاهدين

و خسائر الأعداء المهاجمين. من هنا كانت أهمية هذه المذكرات .

فالشكر كل الشكر لابن صاحب هذه المذكرات الدكتور المهندس هشام الفقير لما بذله من جهد مع أسرة المرحوم الفريق حسن تحسين باشا الفقير في إخراجها إلى حيز الوجود لسيتفيد منها المؤرخون و الدارسون لهذه الفترة من تاريخ سوريا.

إن معركة ميسلون هي نقطة البداية في جهاد استمر ربع قرن ضد ما يسمى بالانتداب الفرنسي الذي كان في حقيقته احتلالاً و استعماراً بأبشع

صوره و جرائمه، إنها نقطة بدأت في ٢٤ تموز ١٩٢٠، وشعلة أضاءت الطريق أمام الثوار المجاهدين إلى أن تحقق الاستقلال الحقيقي لسورية الحبيبة يوم الجلاء في ١٧ نيسان ١٩٤٦م.

لقد كان أبناء جيلي طوال سنوات الاحتلال الفرنسي لسورية ينشدون أناشيد ميسلون و يرون في أبطالها

و شهدائها و في مقدمتهم وزير الحربية يوسف العظمة منارة جهاد في كل حركة وطنية كانوا يقومون بها، و كذلك كان الثوار الذين توالت ثوراتهم من ميسلون و حتى تحقق الجلاء في جميع أنحاء سوريا، كان هؤلاء و أولئك جميعاً يرون في أبطال ميسلون جنوداً و متطوعين قدوة لهم، و منارة تنير لهم طريق الجهاد

و الاستشهاد في سبيل تحرير الوطن من الغزاة المحتلين حتى جاء يوم الحرية و العزة و الكرامة يوم الجلاء، و تحققت رسالة شهداء ميسلون، و من هنا تأتي أهمية هذه المذكرات، ففي كل سطر من سطورها، بل في كل كلمة من كلماتها حقيقة تاريخية موثقة من قائد الجبهة، و هو من عرفنا صدقاً و تضحية و إيماناً

و إخلاصاً لوطنه الصغير سورية، ولوطنه الكبير الوطن العربي، فضلاً عن كونه كان خبيراً و شاهداً في ما رواه و سجله في مذكراته.

و قد جاءت المذكرات في الجزء المتعلق بمعركة ميسلون شاملة الحديث عن الفترة التي سبقت المعركة من مفاوضات بين المسؤولين الفرنسيين و السوريين، و ما أعقبها من إنذار فرنسي كان الهدف منه اختلاق مبرر لزحف القوات الفرنسية و احتلال العاصمة دمشق و بقية المناطق الداخلية من سوريا، و الحديث أيضاً عن الظروف التي دفعت حكومة الملك فيصل بن الحسين لقبولها الإنذار، و بالرغم من ذلك فإن الجنرال غورو أمر قواته بالزحف مبرراً عمله بتأخر وصول جواب الحكومة السورية إليه، و هنا يبدأ الحديث عن دور وزير الحربية يوسف العظمة و هو القريب منه و المتصل به بحكم المهمة التي كان مكلفاً بها عسكرياً، و استمر بحديثه هذا حتى استشهاد يوسف العظمة وهو إلى جانبه. و يأتي في النهاية على ذكر خسائر

العدو الفرنسي، و نتيجة لتلك الخسائر يقول إن هذه المعركة تعد انتصاراً لسورية بالميزان العسكري....

ثم يأتي على ذكر الأيام التي أعقبت المعركة، و دخول الفرنسيين إلى دمشق، و اختتم هذا الجزء من مذكراته بحديث رائع عن احتفاظه بعلم فرقته التي كان يقودها (و هو المعروف **باسم العقاب**) إلى أن قدمه باحتفال رسمي بعد الجلاء في عهد رئيس الجمهورية شكري القوتلي ليحتفظ به في المتحف الوطني بدمشق.

رحمك الله يا بطل ميسلون و شهيدها العظيم يوسف العظمة.

و رحم الله كل شهداء ميسلون الذين قدموا أرواحهم في الدفاع عن سوريا العزيزة.

ورحمك الله يا قائد جبهة ميسلون حسن تحسين الفقير على جهادك وجهودك و كتابتك لهذه المذكرات التي أفادتنا و أطلعتنا على حقائق و تفاصيل ما كنا سنتطلع عليها لولا مذكراتك خاصة وأنت من عاشها و شارك في أحداثها .

و أكرر الشكر كل الشكر لآل الفقير و بخاصة منهم الأخ الكريم الدكتور المهندس هشام الفقيرعلى ما بذل من جهد مع أسرة الفريق حسن تحسين باشا الفقير في سبيل طبع هذه المذكرات بأجزائها المتعددة ليطلع عليها من يريد الإفادة منها و الاستزادة من المعلومات الموثقة عن فترة عصيبة و خطيرة من تاريخ سوريا الحديث، و الله الموفق لكل خير.

هاني المبارك

مذكرات

الفريق حسن تحسين باشا الفقير

١-عن الحرب العالمية الأولى.
الجزء الأول

٢-ما قبل و مجرى وقائع و أحداث معركة ميسلون والانتداب الفرنسي.
الجزء الثاني

٣- عن جهاده في شرق الأردن.
الجزء الثالث

٤- عن حرب الحجاز.
الجزء الرابع

٥- عن عمله مستشاراً لجيش الدفاع اليمني.
الجزء الخامس

٦- الخاتمة.
الجزء السادس

- الجزء الثاني -

تتضمن مذكرات الفريق حسن تحسين باشا الفقير عن الاحتلال الفرنسي الغاشم للوطن السوري، مفصلا به أحداث ما قبل ومجرى ووقائع معركة ميسلون وفرض الانتداب الفرنسي، من ثم الاعتداءات على الشعب السوري آلي أن تم الجلاء عام ١٩٤٦، ومن ثم تسليم علم العقاب في سنة ١٩٤٦ بعد اعترافهم باستقلالها، وأخيرا تسليمه لعلم معركة ميسلون (العقاب) لمعالي أحمد الشرباتي وزير الدفاع، يوجد بالمتحف الوطني السوري بدمشق.

معركة ميسلون

بسم الرحمن الرحيم و به نستعين

مذكرات الفريق حسن تحسين باشا الفقير عن الاحتلال الفرنسي الغاشم للوطن السوري، مفصلاً بها وقائع معركة ميسلون، و من ثم الاعتداءات الفرنسية على سوريا بعد اعترافهم باستقلالها، وأخيراً تسليمه لعلم معركة ميسلون (العقاب) لمعالي أحمد الشرباتي وزير الدفاع في المتحف الوطني السوري بدمشق .



قائد الفرقة النظامية الأولى التي خاضت معركة ميسلون

قبل معركة ميسلون تدريب الجيش العربي
(الاستعراض العسكري)

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، عدت من تركية برتبة عقيد (قائم مقام)، والتحقت بالجيش العربي الفيصلي، فعينت للمرة الأولى قائداً للواء المشاة الرابع في عمان، و من ثم نقلت إلى العاصمة دمشق، و عينت قائدا للواء المشاة الأول، فعكفت على تدريبه بجدٍ و نشاط، فأصبح يشار إليه بالبنان لحسن تدريبه و دقة انتظامه في التعليم و الأمور الحربية. فسر لذلك وزير الحربية البطل الشهيد يوسف بك العظمة، و عهد إلي بقيادة الفرقة الأولى، و عين المقدم حسن بك الهندي قائداً للواء الأول، فدأبت و معي قواد الألوية و بقية الضباط على تعليم قطع الفرقة المذكورة جميعاً و تدريبها و تربيتها التربية العسكرية الحقة ما يقرب من شهرين بمنتهى الجد و النشاط.

و في صبيحة أحد الأيام تلقيت أمراً من معالي وزير الحربية بأن أعد الجيش لعرضٍ عسكري يشمل جميع قطع الفرقة، و ضم إلي لواء المدفعية الذي يقوده العقيد محمد علي بك المدفعي، ولواء الخيالة الهاشمي الذي يقوده المقدم إسماعيل نامق (وهو حالياً رئيس أركان حرب الجيش العراقي إسماعيل نامق باشا)، و كان استقدمهم من الفرقة الثانية السورية التي كان مركزها درعا، و التي كانت بقيادة العقيد إسماعيل بك الصفار، فواجهتُ وزير الحربية، ورجوته أن يصرف النظر عن هذا العرض الكبير لِئلا يطّلع العدو على الكثير من أوضاع جيشنا الفتي و عَدده و عُدده، فينصبوا لنا الأحابيل و الدسائس، و يستعد لقتل الجيش في مهده قبل أن يستكمل نموه و تدريبه المطلوب.

وكان الشيخ كامل القصاب حاضراً، فأكد الطلب، و رجاني أن ترى الأمة جيشها لتفخر به ويزيد من حماسها، فامتثلت للأمر وأعددت العدة، و أجري العرض في شارع النصر، ودام ساعة ونصف ساعة كانت تمر خلالها الجند الأعتدة بانتظام و مهابة.

و بلـغ مجمـوع الفرقـة ثلاثـة آلاف و ثمانمائـة جنـدي نظـامي، و ثمانيـة وأربعين مدفعاً، و ثمـانين رشاشـاً بين ثقيل و خفيف، و ثمـانين عجلـة محملـة بالعتـاد للمدفعيـة، و مئـة و ثمـانين عجلـة للنقليـات، يضـاف إلـى ذلـك المدرسـة الحربيـة السوريـة، و حرس جلالـة الملك، و قوى الشرطـة و الدرك.

و كان جلالـة الملك واقفاً أمـام المشيربة، فبعد مروري أمـام جلالتـه نزلـت عن حصـاني و حضـرت إلـى يسـار جلالتـه، و وقفت بجانـب وزيـر الحربيـة معـالي يوسـف بـك العظمـة، و كـان إلـى يمينـه الكولونيل بيكو قنصـل فرنسـا، فأخذ وجه هذا يتغير أشكالاً و ألواناً.

و كان ما كنت أتوقعه و أخشاه، إذ التفت إلى يوسف بك و قال له وإمارات الاستياء و الحنق تعلوا جبينه: "أتريدون محاربتنا بهذا الجيش؟ "

فأجابه يوسف بك فوراً رحمه الله: " لا بالعكس نريد معاونتكم به ".

فاصفر وجهـه و امتقـع و صمت و لـم ينبـث ببنـت شـفة، و عنـدها ذكّـرت معـالي يوسـف بـك بمـا كنـت أتوقعـه عنـدما رجوتـه تأجيـل الاستعراض مـن محاولات لإحباط مساعينا، و السعي لإهلاك جيشنا فـي مهده قبل أن يستكمل نموّه و تدريبه الذي نرجو له، فتبسم رحمه الله و قال لا بأس (لنا الله).

و أخذني معـه بعد انتهـاء العرض إلـى حديقـة المشيرية، و هنالـك و تحـت إحدى مظلات الحديقة قال لي: هل أنت مستعد للحرب يا تحسين؟

فأجبتـه: نعـم إنـي مسـتعد للمـوت و لا أخشـاه، و لكـن يجـب أن تؤمّنـوا لـي الوسائل اللازمة لإنشاء خط دفـاعي متين فـي مجدل عنجر، و أن تجلبـوا لنا السـلاح و العتـاد مـع الوسـائط الفنيـة، كمـا يجـب دعـوة القـادرين علـى حمل السـلاح مـن أبنـاء البـلاد، و بضـع" قـرع" علـى الأقـل لتـدريبهم و تعليمهم بالسرعة الممكنة، و لنكون قادرين على رد العدو إذا اضطررنا للمحاربة. أما حالتنا الحاضرة الناقصة من كثير من الوسائل الحربية الفنية، و خاصـة العتاد الحربي، فمنَ الصعب جداً إن لم يكن من المستحيل أن نجابه بها عدواً مستعداً قوياً، بل إن ذلك بمثابة الانتحار.

المفاوضات و مطالب الفرنسيين

و في صبيحة اليوم التالي للاستعراض، أرسل جلالة الملك فيصل الأول فخامة نوري باشا السعيد والكولونيل طولا الملحق العسكري للقنصل الأفرنسي إلى بيروت، للبحث مع الجنرال غورو في وضع خطة لرحلة جلالته إلى أوربا، تلبية لنداء مؤتمر الصلح، ولإتمام المباحثات السياسية مع الحلفاء، فرفض الجنرال غورو البحث في تفاصيل الرحلة، و أعطى نوري باشا السعيد إنذاراً شفهياً مؤداه ما يلي:

١- أن تقبل الحكومة العربية الفيصلية في سورية انتداب فرنسا دون قيد أو شرط.

٢- أن تعيد الجيش إلى ما كان عليه قبل شهر شباط.

٣- أن ترضى بالتعامل بالورق السوري.

٤- أن لا تمانع الأفرنسيين من احتلال خط حديد رياق حلب، أي احتلال محطات بعلبك وحمص و حماه، و حتى احتلال نفس مدينة حلب.

وقال إنه - أي الجنرال غورو - لا يوافق على رحلة جلالة الملك إلى أوربا قبل حل هذه النقاط وقبولها، و أن جلالته إذا سافر من غير طريق بيروت إلى أوربا، فإن الحكومة الافرنسية لا تعترف عليه و لا تستقبله.

فتأثر جلالة الملك كثيراً لذلك و استشاط غضباً، و كتب إلى الجنرال غورو محتجاً لتعديه، و مفنداً لمخالفته لقرارات عصبة الأمم.

وصول الإنذار الافرنسي

و من ثم تكررت المكاتبات بين جلالة الملك و غورو على النمط المذكور حتى اليوم الرابع عشر من شهر تموز سنة ١٩٢٠، حيث وصل إنذار خطي جديد من الجنرال غورو بالمطالب الغادرة السابقة و فحواه ما يلي:

١- قبول الانتداب الافرنسي.

٢- قبول التعامل بالورق السوري.

٣- قبول المستشارين الافرنسيين في دوائر الحكومة.

٤- تسليم الضباط الذين كانوا يعملون على رأس العصابات.

٥- تسليم خط حديد رياق – حلب.

٦- ترخيص الجيش السوري و إلغاء الخدمة الإجبارية.

و قد حدد مدة هذا الإنذار بستة أيام، وضرب موعداً لانتهائه بعد منتصف ليلة ٢١تموزسنة١٩٢٠، وأنه إذا لم تَقبل به الحكومة العربية الفيصلية، فإن الجيش الفرنسي سيزحف على دمشق.

الاستعداد للمعركة

فانزعج الجميع لذلك، و ابتدأت حكومتنا تعد عدتها، و رسم معالي وزير الحربية الخطة الحربية، وأمر بملاحظة الحدود من حلب إلى مرج عيون، و قسم الحدود إلى مناطق ثلاث: الأولى منطقة حلب، و الثانية منطقة حمص تل كلخ، و الثالثة منطقة مجدل عنجر إلى مرج عيون. و كانت مهمتها ما يلي:

أ- الدفاع عن العاصمة دمشق.

ب- الارتباط مع قيادة البقاع و القنيطرة.

ج - تشكيل احتياط قوي لأمر المنطقة.

و قبل ذلك ببضعة أيام و بناءً على أمر وزير الحربية، أرسلت اللواء الثاني المشاة الذي يقوده المقدم توفيق بك العاقل لمنطقة مجدل عنجر، و اللواء الرابع لمنطقة حاصبيا وراشيا، و ذهبت بنفسي مع اللواء الثاني لتنظيم خط دفاعي في مجدل عنجر، فحفرنا الخنادق و أقمنا المتاريس، ولكنا أعوزتنا الأسلاك الشائكة، فطلبتها و أكدت الطلب مراراً، و لكن طلبي و ندائي ذهبا صرخة في واد، فاقتصدنا في استعمالها ما أمكن، و الذي تمكنا من تدبيره منها اقتصرنا على وضعها في الأماكن الضرورية جداً من مدخل طريق بيروت – دمشق.

ثم عدت لمركز فرقتي في دمشق، حيث تلقيت من وزير الحربية بإرسال بقية قطعات الفرقة من مشاة و مدفعية إلى مجدل عنجر، ما عدا الفوج الثاني من اللواء الأول المشاة الذي كان يقوده المقدم إسماعيل زهدي، و الذي كلف بالبقاء في دمشق تحت إمرة الحكومة المركزية احتياطاً لكل طارئ مع لواء المدفعية الذي جلب من درعا، و كان تحت قيادة العقيد محمد علي بك المدفعي، وقد كلفت العقيد المدفعي المومى إليه بوكالة الفرقة بدمشق، وذهبت مع قطعاتها إلى مجدل عنجر، حيث عبأت القوات من مشاة و مدفعية ورشاشات في الأماكن التعبوية اللازمة والمناسبة، ووسعت التحكيمات بمعرفة سرية الاستحكام التي كان يرأسها إذ ذاك الرئيس تحسين بك العنبري، وأمنت ارتباط الهاتف بين مركز القيادة و جميع قواد الألوية



الملك فيصل وعلى شماله الأمير زيد ويمينه الملك علي وخلفه الملك عبد الله

والشعب الأخرى بصورة جيدة، وبعد أن عبأت المدفعية تعبئة مستورة، أخذت مدفعين جبليين سريعين، ومعي قائد لواء المدفعية العقيد صدقي بك الكيلاني إلى جوار جسر دير زنون، و وضعناهما بين الأشجار على رابية في مكان مستور بعيد عن الأنظار، غير أنه حاكم و مشرف على معسكرات العدو جميعها من مشاة ومدفعية و دبابات و مطارات، و كان بعدهما عن معسكراته لا يزيد عن ألف و ثلاثمائة متر، وكُتم أمرهما عن الجميع ما عدانا، و جعلت مركز قيادة الفرقة في قلعة مجدل عنجر الخربة التي تشرف على سهول البقاع جميعاً، و أتممت التحكيمات و الترتيبات بصورة حسنة، وأمرت بنسف الجسور التي قد يستخدمها العدو في هجومه من رياق إلى جب جينين على نهر الليطاني، وأبقيت جسرَي بر الياس و دير ذنون بعد أن لغمناهما لنسفهما عند الحاجة الماسة، ووضعت على حراستهما ضابطاً تحت إمرته حضيرة نظامية و مئة متطوع من القرية المجاورة لتدافع عنهما شرقي النهر، ولو أمكننا الحصول على الكمية الكافية من الأسلاك الشائكة لكان لدينا من مجدل عنجر خط دفاعي متين يصعب جداً اقتحامه مهما كان العدد قوياً .

و لما اطلع وزير الحربية على الترتيبات الدفاعية المذكورة سر أيما سرور، و أبدى شكره الجزيل، ووعدني بإرسال ما يمكنه من قوة لتعويض ما نقص من الفرقة من جراء الفارين. و يا للأسف الشديد! حيث كان مجموع قوتنا في مجدل عنجر آنذاك ألف و أربعمائة جندي لا غير.

و بعد أن وصل الإنذار لدمشق عُيّن سمو الأمير زيد شقيق جلالة الملك قائداً عاماً للجيش السوري، ومعالي ياسين باشا الهاشمي قائداً لجبهة دمشق، والزعيم الركن يحيى حياني بك قائداً لمنطقة حمص و حماه، والعقيد الركن محمد إسماعيل بك الطباخ قائداً لفرقة حلب و منطقتها. وكانت البلاد مستعدة للمقاومة، غير أن ياسين باشا الهاشمي اعتذر عن القيام بمهمة قيادة منطقة دمشق، وصرّح للأمير زيد بعدم استطاعة البلاد مقاومة الجيش الافرنسي طويلاً. فاستدعاه جلالة الملك كما استدعى رجال الحكومة إذ ذاك، و أعلمهم بما قال الهاشمي، فأجاب المرحوم يوسف بك العظمة قائلاً: معاذ الله أن نستسلم لليأس و القنوط .

و أخيراً تم الاتفاق على عقد مجلس عسكري للبت في الأمر، و تألف المجلس برئاسة جلالته من السادة و الأركان ياسين باشا الهاشمي، و العقيد



وزير الدفاع السوري يوسف العظمة

أحمد بك اللحام، و المقدّم مصطفى وصفي بك، والمقدم شريف بك الحجار، والزعيم مصطفى نعمت بك، و المقدم حسن يحيى بك الصبان، وانضم إليهم العقيد المدفعي عارف بك التوام مدير التسليح العام. و كنت إذ ذاك في الجبهة في مقر قيادتي في مجدل عنجر.

فتضاربت آراؤهم، و اختلفت أجوبتهم، فأمرهم جلالته بتوحيد الفكرة وإبداء الرأي النهائي. فاستمهلوه برهة، ثم أعلنوا أنه يمكن للجيش السوري العربي أن يقاوم بضعة أسابيع فقط بتجهيزاته الحالية، و عدده و مواقعه الحربية، على أن يشترك معه متطوعة حوران و البدو والأهالي، وعلى أن يتصرف بالأسلحة التي كانت بأيدي الأهليين من بدو و حضر. و أنه إذا لم يتح للحكومة ذلك فالجيش يعجز عن أن يقاوم حينئذٍ ساعة واحدةً.

و هكذا اجتمع الرأي على ذلك، فأخذت الحكومة بالحذر و الانتباه.

بوادر الخيانة

بتاريخ ١٨ تموز سنة ١٩٢٠ وردت إلي برقية من قائد اللواء الرابع العقيد شكري بك المعسكر في راشيا، يعلمني فيها أن أهالي حاصبيا و على رأسهم الشيخ حسين القس شيخ خلوة البياضية، هاجموا الحكومة و الجند ليلاً في حاصبيا، و قتلوا من قتلوه و فر الباقون، و أخذوا الرشاشات، وأحضروا من مرج عيون ٦٠٠/ ستمائة خيال افرنسي، و سلموهم حاصبيا، و مثل أهالي راشيا الدور نفسه، فأحرقوا دار الحكومة، و سلموا راشيا للخيالة الافرنسية التي أحضروها من حاصبيا.

و يقول قائد اللواء الرابع المذكور أنه اضطر للانسحاب بعد إرساله هذه البرقية من راشيا باستقامة ميسلون بعد أن أمضوا ليلتهم محصورين بقصر آل الشهابي، و أن الأهالي أمطروا قصر الشهابي بوابلٍ من الرصاص ليلاً، فقتل أحد الأمراء الشهابيين بالرصاص، فأعلمت الحكومة حالاً بالأمر.

قبول شروط غورو

فعقدت الحكومة اجتماعات عديدة عسكرية و ملكية للمداولة في الأمر، وقرّ رأيهم على قبول شروط غورو خوفاً من سراية مثل هذه الخيانة إلى مناطق أخرى، و دفعاً و منعاً لحروب أهلية داخلية تخرب فيها البلاد.

الصلح المزعوم و غدر الافرنسيين

في مساء ٢٠ تموز سنة ١٩٢٠ أبلغتني وزارة الحربية بأن الصلح تم بين حكومة سوريا و فرنسا على الشروط الآتية:

١- قبول الانتداب الافرنسي على أن يكون للافرنسيين بضعة مستشارين فقط.
٢- قبول النقد السوري الذي طبعته فرنسا.
٣- ترخيص الجيش السوري في برهة أسبوع.
٤- تسليم الافرنسيين محطة رياق لتأمين سوقياتهم إلى الشمال.
٥- عدم تجاوز الحدود.
٦- تسليم رؤساء العصابات و الضباط المتهمين بالتعدي على المسيحيين.

و صادف أن حدث بتشويق الافرنسيين و تحريضهم على الخلاف بين أهالي رياق و الدرك السوري مصادمة أسفرت عن قتل بضعة أشخاص من الأهالي، وبضعة جنود من الدرك. فانتهز الفرنسيون هذه الفرصة وذلك الخلاف، واحتلوا رياق وحصنوها بتحصينات متينة.

و بعد أن أعلمتني وزارة الحربية بالصلح و قبول الإنذار بساعة واحدة تقريبا، أبلغت أمراً من قائد منطقة الشام ياسين باشا الهاشمي عن طريق أركان حربه القائد الركن أدهم بك بأن تبقى المدفعية في مجدل عنجر، و أن أعود في صباح اليوم التالي مع جميع جنود فرقتي إلى دمشق، فرفضت قبول هذا الأمر، و لاسيما ترك المدفعية دون عضد المشاة مضيعة أكيدة لها، و هي ركن الفرقة وناموسها.

فقلت لأدهم بك: إما أن نحضر جميعاً، أو أن نبقى جميعاً و هو الأفضل، فشكاني لوزير الحربية الذي كلمني هاتفياً و وافق على عودة الفرقة جميعها مع إبقاء مائة جندي مشاة للمحافظة على بقية الأرزاق و العتاد ليتم سحبها.

الفوضى تعم دمشق على أثر قبول الإنذار

و في مساء ذلك اليوم طلب مني إرسال ما لدي من الرشاشات بالسرعة الممكنة إلى دمشق، لأن الأهالي هاجمت القلعة، و نهبت الأسلحة والتجهيزات، و أنه حصل اختلال و فوضى شديدة على أثر قبول الإنذار الافرنسي.

فطلبت إرسال سيارات كبيرة لنقلها بالسرعة الممكنة، فحضرت السيارات، وأرسلت جميع ما لدي من الرشاشات إلى دمشق، ثم تلقيت برقية من وزير الحربية يوسف بك ليلاً، يأمرني فيها بأن أوكل أحد قواد الألوية ليعود بالفرقة إلى دمشق، و أن أحضر بسرعة و بالسيارة، على أن أكون في الساعة ٧,٣٠ قبل الزوال في قصر جلالة الملك.

فوكلت قائد اللواء الأول المقدم حسن بك الهندي بوكالة الفرقة، و طلبت إليه أن يبطئ في السير ليحمي المدفعية و يؤمن وصولها معه، لاسيما المدفعين اللذين كانا بجوار جسر دير ذنون، وكلفت الوكيل قائد السيد نوري رمو بالمحافظة على الأرزاق و العتاد، و معه مئة جندي مشاة، كما أبقيت حضيرة مع ضابط على جسر بر الياس كي يخبرني هاتفياً بجميع ما يراه من تبدل في معسكر الافرنسيين عن طريق قائد القوة التي كلفت بالبقاء و المرابطة في مجدل عنجر، و حيث يمكنه أن يشاهد تماماً و بكل وضوح معسكرات الافرنسيين المنتشرة أمامه. و بعد أن اتخذت هذه الترتيبات عدت مسرعاً إلى دمشق بالسيارة، و معي قائد اللواء الثاني المقدم توفيق بك العاقل، فوصلت في تمام الساعة السابعة و النصف إلى قصر جلالة الملك كما طلب مني وزير الحربية.



مصطفى وصفي باشا



مدير الشعبة الثانية لشورى الحرب القائد محمد شريف الحجار

خلف الافرنسيين بالعهد

و عندما قابلت جلالة الملك هنأني بسلامة الوصول و قال: يا تحسين لقد أخلف الافرنسيون بعهدهم، وزعموا أن جوابنا بقبول الإنذار و الصلح لم يصلهم، و أنهم لم يأخذوا أمراً من الجنرال غورو لإيقاف الزحف، و قد احتلوا مجدل عنجر بعد انسحاب فرقتنا. و قال يجب أن تعود حالاً وتأخذ معك القنصل الافرنسي المسيو بيكو، و أن تفهم قائد قوة الافرنسيين الجنرال غوابيه أننا تصالحنا وقبلنا شروطهم، فما معنى هذا التقدم و الغدر؟

و لما هممت بالعودة لتنفيذ أمر جلالة الملك، اقترح وزير الحربية الذي كان حاضراً أن أقوم أنا بمهمة تهدئة الخواطر الثائرة في دمشق من الأهليين الذين كانوا يتجمعون لمهاجمة الحكومة، وأنه سيرسل مرافقة ياسين بك الجابي مع القنصل الافرنسي لتحقيق رغبة جلالة الملك، فوافق جلالته على ذلك.

تهدئة الخواطر و إخماد الفتنة في دمشق

و بعد أن ودعت جلالة الملك و وزير الحربية، ذهبت تواً بالسيارة إلى حي الميدان، حيث وجدت جماهير غفيرة من الأهالي المدججين بالسلاح قرب جامع الدقاق في الميدان الفوقاني وهم مصممون على مهاجمة الحكومة، و عندما شاهدوني قادماً أحاطوا بالسيارة و بهتوا لرؤيتي، وقالوا أنهم بُلّغوا بأن الحكومة أوقفتني وسجنتني و باعت البلاد للافرنسيين، وأن مرادهم قتل جميع الخائنين.

فأفهمتهم ما حصل في حاصبيا و راشيا من خيانة و تسليم للافرنسيين، وأن الحكومة خشيت أن تصبح بين نارين و عدوين، عدو أجنبي ظاهر و عدو داخلي، و هو أشد ضرراً و فتكاً، يثير الفتن ويوقع البلاد في حروب أهلية ثم يسلمها للافرنسيين، و أن الحكومة اختارت أهون الشرين، وقبلت مرغمة شروط الجنرال غورو، على أن يسعى جلالة الملك عند ذهابه إلى مؤتمر الصلح لإلغائها أو تخفيف ضررها، و حفظ استقلال البلاد.

فاقتنع الجمهور بكلامي واطمأن، وعرضوا علي تطوعهم للجهاد، والعمل في سبيل سيادة البلاد وحماية استقلالها. فطلبت إليهم العودة إلى أعمالهم ريثما تصدر إلينا تعليمات جديدة، فإذا دعت الحاجة إلى معونتهم كلفناهم بذلك، فانصرفوا و تفرقوا شاكرين.

و قد كررت نصائحي هذه و حديثي في كل من أحياء الشاغور و العقيبة والعمارة و باب السريجة و قبر عاتكة، وبسائر الأحياء الكبيرة التي تجمهر أهلها بتشويق صنائع الافرنسيين للإخلال بالأمن و إرباك الحكومة.

و قد رجوت كذلك الشيخ بدر الدين الحسني لما كان يتمتع به من محبة وكرامة و احترام في قلوب الناس أن يذهب بنفسه إلى الأسواق الرئيسية كالحميدية و مدحت باشا، ويطمئن الناس معي كي يفتحوا حوانيتهم، ويفهمهم حسن نية الحكومة، ففعل رحمه الله.

إعلان الحرب

و لما عدت ذاك اليوم حوالي الساعة الثانية و النصف بعد الزوال إلى وزارة الحربية، أبلغني المرحوم يوسف بك و سمو الأمير زيد إعلان الحرب، و أنهم كلفوا وكيلي في قيادة الفرقة أثناء عودته مع الفرقة بميسلون أن يرابط بعقبة الطين، ويكلف الفرنسيين الذين كانوا يتابعون تقدمهم باتجاه دمشق أن يعودوا إلى معسكراتهم، فإذا لم يقبلوا ذلك بعد إنذارهم ثلاث مرات أن يحاربهم.

تراجع الفرنسيين

و قد أعلمنا أنه أنذرهم أحد الضباط المدعو جميل الدهان و لكنهم لم يبالوا، فضربت مدفعيته طليعة دباباتهم، وحطمت لهم ثلاثاً منها، و فر الباقون، وتراجعت قوات الافرنسيين من وادي القرن إلى الجديدة، و أمرني أن أسرع وأكون على رأس فرقتي في ميسلون، فأخبرته بما كان من أمر الجماهير في الأحياء الكبيرة، والتي عرضت علي تطوعها عند الحاجة، فوافق على دعوتهم للجهاد و التطوع، فذهبت مسرعاً و أذعت ما بُلغت من إعلان الحرب في الأحياء، ودعوتهم للحاق بي بميسلون.

فرار الجنود

و عدت مسرعاً إلى ميسلون، و لكن و يا للأسف وجدت عند وصولي إلى أول سهل الديماس جماعة من الجند تبلغ الخمسين، و معهم ضباط ثلاثة، ولما سألتهم عن سبب مجيئهم إلى هنا، زعموا بأنهم لم يبلغوا إعلان الحرب، وأنهم ظمئوا و أتوا ليشربوا ثم يلحقوا بي بأقرب وقت بعد استراحتهم قليلاً. وبعد هنيهة صادفت ما ينوف عن المئة جندي مع بعض الضباط، وكانت حجتهم كالأولين، وبعد برهة أخرى رأيت جماعة من الجند ثالثة ثم رابعة على الخط المذكور، إلى أن وصلت إلى ميسلون، إلى الموقع المسمى بأم الشراطيط وعقبة الطين، حيث وجدت القوة الباقية في ميسلون، و كانت من القلة بحيث لم تتمكن من استثمار النصر الأول لها، لأن مجموعها لم يكن يتجاوز الأربعة و ستين جندياً من المشاة، و ثلاثة عشر ضابطاً مع عشرين جندي من المدفعية فقط، فدهشت لهذه الحالة السيئة، وأحصيتها بنفسي بالضبط، فلم تتجاوز المقدار المذكور، و إن مثل هذا العدد لا يكفي للمحافظة على المدفعية، فضلاً عن تعقب العدو. و شاهدت بنفسي الثلاث دبابات المكسرة قرب فم الوادي.

و بعد قليل وصل سمو الأمير زيد و معه وزير الحربية يوسف بك العظمة، و اطلعوا على الحالة بأنفسهم، و رأوا بأعينهم دبابات العدو الثلاث المحطمة في مدخل الوادي قرب الجسر الصغير، وأسفوا معي لعدم وجود قوة كافية لاستغلال هذا الفوز، وتعقب العدو المنهوك القوى، والقضاء عليه. و كان هذا ممكناً لو بقيت قوتنا كما تركتها في مجدل عنجر قبل إعلان الصلح و طلب تسريح المتطوعة و دعوة الفرقة لدمشق، و من ثم إغراء الدساسين الخونة للجند بالهرب.

حضور جميل بك الألشي والملحق العسكري الافرنسي طولا إلى مراكز العرب

و بينما كنت أتذاكر مع سمو الأمير زيد و وزير الحربية بالأمر، و إذا بجميل بك الألشي مرافق جلالة الملك مع الملحق العسكري للقنصل الافرنسي الكولونيل طولا يصلان من دمشق. فاطلع وزير الحربية جميل بك على تفصيل الوضع، (و كان طولا يقف على بعد عشرين متراً يسترق السمع، وهو يحسن اللغة العربية) فأجابه جميل بك بأنه سيذهب مع الكولونيل الفرنسي طولا، ويطلب من قائد القوات الفرنسية هدنة ثمانية و أربعين ساعة لكي تتمكنوا من جمع شتاتكم، و كان إرسال أجنبي مع جميل بك الألشي لاسيما و هو يتقن اللغة العربية خطيئة كبرى لا تغتفر، نتج عنها شر مستطير، إذ لابد لي من القول بهذه المناسبة أنني سمعت من شاهد عيان هو شاب لبناني كان سكرتيراً و مترجماً للجنرال غوابيه، جمعتني به الصدف بعد دخول الافرنسيين لدمشق ببضع شهور في دار صديق قديم لي يدعى الدكتور إلياس تين في حي إخواننا المسيحيين في باب توما، تربطني و إياه صلة الجهاد أيام الحرب العالمية الأولى في جناق قلعة ورومانيا، و كنت في زيارة له، وعندما جاء ذلك الشاب فعرفني عليه، و كان منه أن ذكر لي قصة تلك الواقعة الحقيقية قائلاً:

عدد القوات الافرنسية

إن قوات الجنرال غوابيه عندما زحفت من معسكراتها في منتصف ليلة ٢١ تموز سنة ١٩٢٠ كانت مؤلفة من أربعة ألوية مشاة، و اثني عشرة بطارية من المدفعية، خمسة منها مدافع ميدان سريعة، و خمسة جبلية سريعة، وبطاريتان من عيار ١٥,٥ سنتيمتر، و لواء خيالة سباهية مراكشيين، وخمسة عشر دبابة، و كثير من الرشاشات الثقيلة والخفيفة تقرب المئة، وسرايا فنية من استحكام و هاتف و لاسلكي، و وسائط نقلية كثيرة، و خمس طائرات.

و ذكر المومى إليه أنه عند وصولنا إلى جسر بر إلياس جاءنا ضابط سوري، و قال إن شروط الصلح قبلت، و ليس لنا أن نزحف إلى داخل حدود سورية، فلم يبال قائد القوات الافرنسية بما قاله، و أخذه أسيراً، و لما وصلنا إلى مجدل عنجر أسرنا القوة السورية الصغيرة التي كانت تحافظ على بقية عتادكم و أرزاقكم، و إن قائدها ذكر لنا أن الصلح تم و لم يقاوم .

و من ثم تقدمت القوات الفرنسية إلى أن وصلت إلى جديدة كفر يبوس، حيث جاءنا ضابط سوري آخر و أخطرنا أن نقف و نعود، و إلا فإن لدى الجيش السوري أمراً بضرب القوات الافرنسية، فكان جواب القائد الافرنسي: إن قاومتم هاجمناكم، وزحفنا عنوة، فعاد من حيث أتى و تقدمنا من الجديدة إلى وادي القرن، وأمامنا الدبابات الخمسة عشر تشق طريقنا، وخلفها سيارة نقل الجنود المشاة.

و عندما خرجنا من فم الوادي، رأينا الجيش العربي آخذاً مواضعه في عقبة الطين، فأصلتنا مدافعه ناراً حامية حطمت ثلاثاً من الدبابات الافرنسية، واضطر الباقون للنكوص على أعقابهم إلى جديدة كفر يبوس، و ترك جنود الدبابات الإثنى عشر البقية دباباتهم في وادي القرن على الطريق، ولاذوا بالفرار ليسلموا بأرواحهم، وحصل تلاشي عظيم بين القوات الافرنسية، مما اضطر معه الجنرال غوابيه لإصدار أمر بالتراجع إلى شتورة، و أمر بجلب الدبابات الاثني عشر، فلم يجسر أحدٌ على الذهاب لإحضارهم، فعمل قرعة على جنود الدبابات، و أجبر من وقعت عليه القرعة أن يذهب ليلاً بعد أن يرخي الظلام ستاره، على أن تتحرك القوات راجعة بعد ذلك.

الخيانة

لماذا هجم الفرنسيون بعد تراجعهم ؟

و بينما نحن كذلك إذ حضر حوالي الساعة السابعة و النصف زوالية الكولونيل طولا الافرنسي، ومعه رسول الملك فيصل و هو جميل بك الألشي، و اجتمعا بالجنرال، ثم انفرد طولا بالمحادثة معه، و من ثم لوحظ أن الجنرال قد سكن روعه، و أصدر أمره بإلغاء التراجع، و أطلع الجنرال غورو على ما علمه، فكان جواب الجنرال غورو بأن يشدد شروط الهدنة كي ترفض من الجانب السوري، و أن ينتهز فرصة ضعف الجيش السوري بالتسريح و العودة و الدسائس، و أن يدخل دمشق.

فأرسل حالاً جنوداً سحبوا الدبابات التي سبق أن تركوها منهزمين، و كتب شروطاً لهدنة جديدة، و سلمها إلى جميل بك الألشي، الذي عاد بها إلى عقبة الطين.

و بعد إمضائها و قبولها من الجانب السوري، عاد إلينا و ذهبا إلى الجنرال غورو (هذا ما سمعته بنفسي من رجلٍ كان سكرتيراً و ترجماناً للجنرال غوابيه)

شروط الهدنة

و لنعد الآن إلى عقبة الطين، حيث كنت مع سمو الأمير زيد، و وزير الحربية يوسف بك العظمة، ورسول جلالة الملك جميل بك الألشي، والكولونيل طولا الافرنسي، فقد وعدَنا جميل بك بأن يأخذ لنا هدنة ٤٨ ساعة لجمع شتات جيشنا، فأعطيناه سر الليل لكيلا يرميه حرسنا عند عودته ليلاً، وذهب مع طولا بالسيارة إلى جديدة كفر يبوس، وعادا و معهما شروط الهدنة التي سلمها إلى يوسف بك، و كانت كما يلي:

١- على الطرفين أن لا يبدلا أماكنهما مطلقاً، و أن لا يجريا أي استكشاف أو تحكيمات.

٢- خط الحدود الفاصل بين الطرفين هو الجسر الصغير الكائن قرب فم الوادي - أي وادي القرن- (و قصدوا بهذا الشرط بقاء الدبابات المحطمة و السالمة التي تركت فراراً منهم ضمن منطقة الافرنسيين، ليتسنى لهم أخذها و تخليصها).
٣- بما أن الجيش الافرنسي أصبح بعيداً عن قاعدة حركاته، و أصبح تموينه بالأرزاق والعتاد صعباً جداً، فيجب أن يستفيد من الخط الحديدي، و أن يسوق أرزاقه بالقطار إلى محطة التكية، و من هناك يتابعون نقلها عبر جبهة ميسلون إلى الجديدة. (و يقصدون بذلك أن ينزلوا خلفنا و يضربونا الضربة القاضية، و هذه مادة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحروب، و ما أنزل الله بها من سلطان، فهي مكيدةٌ مفضوحة.)

ساد القلق من أجل شروط الهدنة

و في هذه الأثناء وصل معالي الأستاذ ساطع بك الحصري موفداً من قبل جلالة الملك ليقابل غورو في عاليه، و يسعى لإنهاء هذه المشكلة، فاطلع على هذه الشروط المذكورة، و تعجب لها. و قد سألت جميل بك الألشي مستغرباً قبوله مثل هذه الشروط و هو ضابط ركن، و كيف أنه لم يناقشهم بها، و هل ظننا الافرنسيون أننا من وحوش إفريقيا ؟ فأجاب أنه لم يقدر على عمل شيء أكثر من ذلك. و لما لم يكن لدينا من القوة ما يمكننا الاعتماد عليها، و كنا بحاجة ماسة إلى هدنة تمكنا من جمع شتاتنا، ساد القلق بالجميع من المصير المشؤوم.

قبول شروط الهدنة

و تفادياً لخطر المادة الثالثة، و هي بيت القصيد والخطر المبيت الأكيد، خطر ببالي أن آمر بقلع قضبان السكة الحديدية و نسفها بين سرغايا و التكية، و نسف الجسور التي عليها، و كنت قبلاً فاتحت قائم مقام الزبداني محمد بك

الحلبي بذلك. (و هو متخرج من المدرسة الحربية بالأستانة من ضباط العشائر و من زعماء الدروز محمد باشا الحلبي اليوم) و وعدني بتنفيذ هذا الأمر عند لزومه.

فقلت ليوسف بك أني قبلت الشروط، فاستغرب مني بعد رفضي الشديد لها، و لما أطلعته سراً وأطلعت سمو الأمير زيد أيضاً على فكرتي سراً، سُرّا أيما سرور لإبطال مفعول شرط الافرنسيين الثالث الخطر، فشكراني و أمضيا (وقعا) على شروط الهدنة بالقبول، وسلماها إلى جميل بك و الكولونيل طولا الافرنسي، اللذين عادا بها إلى الجنرال غوابيه، وإلى غورو في عاليه.

جمع المتطوعين

بعد إمضاء الهدنة رجوت سمو الأمير زيد و وزير الحربية يوسف بك أن يعودا إلى العاصمة دمشق ليجمعا لنا شتات الجند الفارين و المسرحين، و ما أمكن من المتطوعين، و أن يستعينوا بفضيلة الشيخ كامل القصاب رئيس اللجنة الوطنية العليا لما كان له من تأثير عظيم على عامة الشعب السوري، و أن يسرعا بإرسال ما لديهم من قوة من دمشق للمحافظة على المدفعية وتأمين الجبهة.

فذهبا و استطاعا بعد جهد إرسال ألف و سبعمائة متطوع عُزّل من السلاح مع سبعمائة بندقية، في قطار خاص وصل إلى محطة التكية بعد منتصف الليل بقليل مع الرئيس عارف بك العنبري.

نسف الخط الحديدي

و اتصلت فوراً بقائم مقام الزبداني محمد بك الحلبي، ورجوته تنفيذ ما طلبته منه سابقا، ووعدني بتحقيقه من نسف الخط الحديدي و جسوره بين سرغايا و التكية، أو قلع قضبانه على الأقل، ففعل ذلك و نفذه فوراً.

فرار المتطوعين

غير أن المتطوعين الألف و السبعمائة تخاطفوا السلاح من محطة التكية عقيب وصولهم إليها -كما أعلمني الرئيس عارف بك العنبري الذي كان على رأسهم- فظن أن ذلك شوقاً للحرب والقتال للوهلة الأولى، و لكن خاب ظنه عندما فر الكثيرون بسلاحهم، فأحصاهم فلم يجد سوى ثلاثمائة مع سلاحهم، و فر الباقون لجهات مختلفة، و عاد بعضهم بالقطار إلى دمشق.

الإمدادات التي وصلت

في صباح ٢٢ سنة ١٩٢٠الخميس، وصل الرئيس عارف بك العنبري ومعه المتطوعون الثلاثمائة، و تواردت بعض المتطوعة التي سلحت من خان ميسلون، و ١١٥ خيالاً من متطوعة الميدان، وسرية الحرس الملكي بقيادة الرئيس محمد علي بك العجلوني، وسرية الهجّانة لجلالة الملك (البيشة) بقيادة المقدم الشيخ مرزوق التخيمي، و ستون خيالاً نظامياً فقط من لوائي الخيالة و الهاشمي للفرقة الأولى بقيادة الرئيس عزت بك الساطي، مع سرية رشاش يرأسها الرئيس هاشم بك النزين، و كان بين ضباطها الملازم إذ ذاك عبد الله بك عطفة الزعيم رئيس أركان حرب الجيش السوري حالياً، والملازم صلاح الدين عرب أوغلي، و بذلك كله بلغ مجموع القوة العامة في ميسلون ثمانمائة و خمسون بين جندي و متطوع، بينهم ستمائة و أربعة وسبعون مسلحين، والباقون بدون سلاح، و قد وزع العزل من السلاح للمساعدة فقط على المدفعية والرشاشات والقطع الفنية الأخرى من استحكام وهاتف.

بعض الشهداء من المتطوعين ممن أبلوا البلاء الحسن

و كان بين المتطوعين الذين حضروا بسلاحهم من دمشق السادة الغر الميامين الشيخ عبد القادر كيوان، و الشيخ كمال الخطيب، و الشيخ محمد توفيق الدرّا، و ياسين كيوان، و صلاح الدين أبو الشامات، و عمر الصباغ، و صادق هلال، و أحمد الموصلي، و محمد نوري الحصري، و عبده الصباغ، و أحمد القحف، و عبد الله الكلاس. فهؤلاء الأبطال الكرام استشهدوا جميعاً بعد أن أبلوا بلاءً حسناً في قتال العدو الغاصب، و قتلوا منه الكثير، وسقطوا أخيراً شهداء أبراراً بواسل. رحمهم الله و أسكنهم فسيح جنانه.

مركز الإسعاف الصحي

و قد تأسس بجوار قرية الديماس مركز للإسعاف والتضميد تحت إشراف الطبيب العسكري المقدم عبد القادر سري بك، و معه بعض أطباء الفرقة العسكريين.

مركز التموين و التسليح

تولى القيام بمهمة التموين و التسليح و تنظيم المتطوعين القادمين من دمشق القائد الركن شريف بك الحجار، يعاونه المقدم إسماعيل نامق بك قائد لواء الخيالة الهاشمي (و هو الآن رئيس أركان الجيش العراقي و برتبة فريق) و قد وصلا إلى ميسلون في ٢١ تموز سنة ١٩٢٠، حيث اتخذا خان ميسلون مركزاً لهما.

الخونة يندسون بين المتطوعين

أعلمني شريف بك الحجار قائد مركز المتطوعين و التموين هاتفياً أنه بين المتطوعين رجل لبناني يقال له هاشم القباني، و معه عشرون متطوعاً يتسلحون بالقنابل اليدوية، و أنه أكرم مثواهم وأحسن وفادتهم، و لكنه اشتبه بأمرهم من حركات رئيسهم هاشم و أسئلته التي لا مبرر لها إلا سوء النية، فهو يسأل عن مستودعات العتاد و الأرزاق و أين هي الخ... فطلبت منه اعتقالهم حالاً وإرسالهم مخفورين إلى دمشق ليحاكموا، و ينالوا جزاءهم الصارم.

غير أنه تبين لي كما سيأتي فيما بعد تسريحهم من دمشق، و من ثم قيامهم بأعمال التخريب وقطع المواصلات الهاتفية و السلكية، وبثوا الخيانة و الفتنة بين الجنود و المتطوعين، لعدم المقاومة مع مزيد الأسف الشديد.

الاستعداد للمعركة

طلب المدفعية من دمشق

بعثت إلى دمشق أطلب من لواء المدفعية الذي يقوده العقيد محمد علي بك المدفعي بطارية صحراء سريعة لتعزيز مدفعية الجبهة، و نظمت جبهة الدفاع أثناء الهدنة بحيث عبأت فيها اثني عشر مدفعاً، و هذا ما كان لدي، منها أربعة مدافع ميدان سريعة بقيادة الرئيس طه من طرابلس الشام، و معه ملازمان آخران، و ستة مدافع جبلية سريعة بقيادة المقدم بكداش، و كان معه الملازم أول إذ ذاك رشيد بك عطفة(العقيد في الجيش السوري الحالي) وملازم آخر، ووضعنا أحد هذه المدافع الجبلية السريعة في الخط الأمامي، عند منعطف الطريق لضرب الدبابات المباشر إذا نجت من الألغام، و آخر على تلٍ عالٍ خلف الجبهة لضرب الطائرات مع الضابط حمزة، ومدفعان أوقص (أوبوس) وعليهم ملازم أول، و أخذت أنا و صدقي بك الكيلاني قائد لواء المدفعية مدفعين من مدافع بطارية الصحراء السريعة التي جلبناها من دمشق بقيادة الرئيس بهاء الدين الصواف مع الملازم ضياء، و وضعناهما على تل يشرف على طريق التكية ومحطتها، ولم يعلم محلها غيرنا أبداً، ووضعنا مدفعين بمنعطف على الطريق العام لضرب الدبابات فيما إذا اخترقت الجبهة.

توزيع القوات على الجبهة

ألحقت المتطوعة بقائد اللواء الأول المقدم حسن بك الهندي، وقسمت على فوجين، فوج يرابط في الجبهة بين الطريق العام إلى الشمال بقيادة وكيل القائد حسني بك توكلنا، و فوج آخر من الطريق العام إلى الجنوب بقيادة وكيل القائد أبو الخير بك الجابي، و كان بين ضباط الفوج الرئيس عارف بك العنبري، و الملازم منيب الطرابلسي، و الملازم جميل الدهان (المقدم في الجيش السوري حالياً). و بين ضباط الفوج الثاني فوزي المبيض و ضباط

آخرون، و أعطي لكل فوج بضع رشاشات ثقيلة و خفيفة، و أرسلت أيضاً سرية الحرس الملكي و قدرها ستون جندياً نظامياً بقيادة الرئيس محمد علي بك العجلوني إلى قائد اللواء الأول، و كانت وظيفتها حماية الجناح الأيمن من الإحاطة، وأرسلت البيشة (الهجانة) الثلاثمائة و التي يقودها المقدم الشيخ مرزوق بك التخيمي لحماية الجناح الأيسر أمام دير العشائر و حلوة و نبطة، و ألحقت بهم الخيالة النظاميين و عددهم ستون مع سرية الرشاش بقيادة الرئيس إذ ذاك عزت بك الساطي (المقدم مدير السجون بدمشق الحالي)، وكان قائد سرية الرشاش هذه الرئيس هاشم بك الزين وأحد ملازميها عبد الله بك عطفه ((الزعيم رئيس أركان الجيش السوري الحالي)) والملازمين الآخرين صلاح الدين عرب أوغلي و محمود بك الهندي، كما ألحقت المتطوعة الخيالة الميادنة (من أبناء حي الميدان) وعددهم ١١٥/خيالاً بالرئيس عزت بك الساطي.

تحضير الألغام و بثها

كان الرئيس تحسين بك العنبري قائداً لسرية الاستحكام (الزعيم مدير ميرة الجيش السوري الحالي) وقد كلفته بعمل ألغام ثلاثة كبيرة، أولها تحت الجسر الصغير الرئيسي، و الثاني على الطريق العام على بعد مائتي متر عن الأول، و الثالث قرب خط دفاعنا على بعد مئة متر منه. وأن يصنع لكل لغم جهاز اشتعال خاص، يعهد به إلى أحد الضباط لينسف به الدبابات عند وصولها إليه، ففعل ذلك و وضع في اللغم الأول ١٢ قالباً من الديناميت، وفي الثاني ثمانية قوالب، و في الثالث ستة قوالب.

تأمين الاتصال و المخابرة

و قد كلفت تحسين بك العنبري أيضاً ربط قطعات الفرقة و أجزائها، ومراكز التموين والصحة والإسعاف مع قيادة الفرقة و مع دمشق بواسطة الهاتف، ففعل حالاً. و جعلت مركز القيادة على مرتفع عالٍ في منطقة اللواء الأول يشرف على الجبهة جميعها، و قد جلبت آنذاك مدفعين جبليين سريعين،

و سبع رشاشات، و مئة جندي من دمشق من الفوج الاحتياطي، لأرسالهم إلى جرد كفر يبوس في الجناح الأيمن بقيادة قائد اللواء الثاني المقدم توفيق بك العاقل، و برفقته المقدم حسني بك الطرابلسي، و كان على المدفعين الملازم خالد نصري، و قد تمت هذه الأعمال والترتيبات حتى ظهر الجمعة في ٢٣ تموز سنة ١٩٢٠.

فشل المفاوضات

ظهر يوم ٢٣ تموز سنة ١٩٢٠ حضر إلى الجبهة وزير الحربية يوسف بك العظمة، وأفهمنا أن المفاوضات قد باءت بالفشل، و أن الحرب واقعة لا محالة، و أن الهدنة مددت اثنتي عشرة ساعة أخرى، أي إلى صباح السبت الساعة السادسة و النصف قبل الزوال، فأعلمت معاليه بترتيباتي و أطلعته عليها، فسر لها، و عرضت عليه كتابة أمر الفرقة الدفاعي، و تعميمه بما أن الحرب واقعة لا محلة، فوافق على ذلك أيضاً، فحالاً كتبت الأمر و أطلعته عليه، فقدّره و أقرّه، وبُلّغ حالاً إلى كافة قواد المناطق، وإلى قائد لواء المدفعية، وهو كما يلي:

أمر الفرقة الدفاعي

١- قائد اللواء الأول و قائد المدفعية مكلفان بالدفاع عن عقبة الطين، ومنع العدو من التقدم عن طريق وادي القرن، كما يجب على المدفعية خاصة إسكات مدفعية العدو.

٢- قائد اللواء الثاني مكلف بالدفاع عن الجرد الواقع على جديدة كفر يبوس، وعليه أن يأتي معه مئة جندي نظامي، و سبع رشاشات، ومدفعين جبليين سريعين، و يتوجه بهم إلى الزبداني في الساعة الثالثة بعد الزوال، حيث يلتحق به هناك ألف و مئة متطوع مسلح من أهالي الزبداني، و خمسمائة مسلح من جماعة ملحم قاسم، كما تعهد بذلك قائم مقام الزبداني محمد بك الحلبي، و يجب أن يباشر بضرب العدو و منعه من التقدم من وادي القرن في الساعة السادسة والنصف تماماً قبل الزوال غداً صباح السبت، كما يجب عليه المحافظة على جناح الفرقة الأيمن من الإحاطة، و عليه أن يصطحب معه حضيرة من جنود الهاتف لتأمين ربط القوة التي تحت إمرته بالفرقة عن طريق قائم مقام الزبداني.

٣- قائد الجناح الأيسر المقدم الشيخ مرزوق التخيمي، يعاونه قائد الخيالة عزت بك الساطي، عليهما أن يشغلا التلال الكائنة أمام دير العشائر و حلوة، و أن يسترشدا برأي سعيد بك عمون الخبير بالمنطقة، و أن يدافعا بقواتهما عن هذه التلال، و يمنعا تقدم العدو منها، أو إحاطته بجناحنا الأيسر، كما يجب عليهما منع تقدم العدو بين عقبة الطين وبين المراكز التي يرابطان مع قوتهم فيها، و على الخيالة النظامية والمتطوعة أن يحاربوا مترجلين، و أن يسلموا كل أربعة خيول لرجل منهم، توضع جميعها مع الهجن وراء التلال حفظاً لها من نيران العدو، كما يجب تأمين المخابرة و الاتصال مع مقر قيادة الفرقة بواسطة حضيرة من الهاتف تلحق بهم، و على قائد الجناح الأيسر الشيخ مرزوق التخيمي أن يستشير معاونه عزت بك الساطي و يسترشد بآرائه في جميع الأعمال الحربية الفنية، وعليه أن تدافع القوات التي تحت إمرته مدافعة مطلقة و أن لا تتقدم إلا بأمرنا.

٤- مركز قيادة الفرقة في هضبة عقبة الطين، وعلى قواد جميع المناطق أن يحافظوا على الارتباط الدائم مع مقر قيادة الفرقة، ومخابرتها بما يحدث.

٥- ترسل الجرحى إلى المركز الصحي للإسعاف الكائن شرقي خان ميسلون.

٦- على قواد مناطق الدفاع كافة أن يعلموني بجميع ما يحدث في مناطقهم من الأعمال الحربية، أو التبدلات الطارئة و المفاجآت التي قد تظهر من قبل العدو.

٧- بلغ هذا الأمر إلى قواد مناطق الدفاع في الساعة الثانية بعد الزوال.

بتاريخ ٢٣ تموز سنة ١٩٢٠ من عقبة الطين
بميسلون
قائد الفرقة الأولى
العقيد / حسن تحسين الفقير

و قد أمرت قائد الجناح الأيسر بصورة سرية أ نه إذا وفقنا الله لصد العدو وهزيمته أن يرسل عشرين خيالاً ممن يعرفون المنطقة و طرقها، و أن يذهبوا من جناح العدو الأيمن ومن خلفه إلى مجل عنجر، وأن يقطعوا خطوط البرق و الهاتف لمنع اتصال العدو مع مراكزه في البقاع ولبنان، وأن يذيعوا خبر هزيمته في القرى المجاورة لكسر معنويات صنائعه، وتقوية معنويات سكان المناطق المذكورة.

هجوم الافرنسيين على سوريا

فرنسا تنقض العهد و تخالف شروط الهدنة

و بعد أن بلغت أمر الفرقة بقليل إذ بي أشاهد طيارة للعدو، و خلافاً لشروط الهدنة تحلق فوقنا مستكشفة، فاستنفرت جنودنا مما اضطر معه بعضهم لضربها، فأخذت تلقي بوابل من رشاشها علينا، فقمت فوراً لأنصح الجنود بالتقيد بشروط الهدنة وعدم رمي الطائرة، ولكنها واصلت ضربها بشدة، وكادت تصيبني مع المرحوم الشهيد الشيخ كمال الخطيب.

و قد شاهد وزير الحربية هذه المخالفة لشروط الهدنة بعينه، وبقي عندي بجبهة ميسلون إلى غروب الشمس، وعندما أراد الرُجوع إلى دمشق مساءً قال لي: سأعود ليلاً إليك لأموت معك، فقلت له: إذا رجعت إلينا حُرمنا كل معاونة، أي التموين و الذخيرة و المتطوعة من دمشق، إن وجودك في العاصمة أنفع لنا، واتصالي بك سيكون مُتواصلاً عن طريق الهاتف، والجبهة ليست بعيدة عن دمشق، فبإمكانك أن تكون معنا في برهة لا تزيد عن النصف ساعة بالسيارة، ولكنه رحمه الله أصر على العودة، ولما رجوته بالإلحاح أن يعدل عن ذلك، وعدني أن يواجه جلالة الملك في دمشق، وأنه إذا استطاع البقاء فيها فعل، و ذهب بعد ذلك إلى دمشق، وأكملت أنا ترتيباتي العسكرية.

و حوالي الساعة ١٢ أي بمنتصف الليلة المذكورة، بينما كنت مستلقياً في سيارتي طلباً لقليل من الراحة والنوم بعد عمل مضنٍ متواصل خلال ثلاثة عشر يوماً، و كانت تنتابني فيها أحيانا نوبة الملاريا، و كنت أتجلد و أغالب نفسي و مرضي لئلا أترك الجبهة أو يقال أني متمارض لا سمح الله.

نعم في منتصف تلك الليلة سمعت صوت سيارة وزير الحربية عائدة من دمشق، فمرت بقربي، وسمعته رحمه الله يخاطبني: تحسين هل أنت نائم؟ تحسين هلم إلي. فنهضت و سألته لماذا رجعت يا معالي الوزير؟ فقال: هيا بنا إلى مكان الرصد في مقر الفرقة، و هناك أعلمني رحمه الله أنه ودّع أهله و ابنته الصغيرة، وأنه لم يتمكن مطلقاً من البقاء في دمشق مع زملائه الوزراء لئلا يقال أنه يخشى الحرب، و أنه حضر إلينا ليموت معي ميتة شريفة، وأنه يعلم حق العلم بأن الحرب بقوتنا الحاضرة والقليلة جداً هو بمثابة

انتحار و لكن ما الفائدة ؟... و سكت قليلاً ثم أخرج مسدسه و قال: و الله أنني كنت أريد الانتحار مرتين يا تحسين تخلصاً من هذه الحياة التعيسة الذليلة ولكني خِفتُ الله، وخفت أن أموت ميتة غير شرعية، أو يقال عني أنني انتحرت، فهدّأتُ من روعه و ثورته، و قلت له بأن علينا أن نجاهد ما استطعنا، و نسأل الله تعالى أن يمدنا بعونه وتوفيقه، و أن يَنصرنا على عدونا الغادر الماكر، و أن المقدر كائن لا يمحى، وبعد ذلك تناول قليلاً من الطعام الناشف وطلب النوم قليلاً، فمددت له بطانية، و دثرته بأخرى، و تدثرت أنا بقربه ببطانية واحدة، و كانت وسادة كل منا حجراً وضعه تحت رأسه، و نام بقربنا مرافقه السيد ياسين بك الجابي، وصَحَوْتُ قرب مطلع الفجر متأثراً من شدة البرد، وألقيت البطانية التي كنت ألتف بها فوق يوسف بك، ومن ثم استيقظ الجند و الضباط، و ذهب كل منهم إلى وظيفته، وعندما استيقظ يوسف بك طلب قطعة من البسكويت فقط، وأكلت مع الضباط شيئاً قليلاً من الخبز والجبن..

عند الصباح في ٢٤ تموز ١٩٢٠

و حوالي الساعة السادسة قبل الزوال، أي قبل انتهاء الهدنة بنصف ساعة، نظرنا إلى جبهة الافرنسيين، فرأيناهم يعبئون مدافعهم الصغيرة من قمة الجبال، و رشاشاتهم من سفوحها، و رأينا أربعة مدافع جبلية سريعة ذات دروع كبيرة موضوعة في فم الوادي، و في السهل على جانب الطريق، فتأثر يوسف بك من استهتار العدو بنا أيما تأثير، و قال: يظهر أنهم يعتبروننا همجاً أو حيوانات، يخيفوننا بمدافعهم ظاهرة مكشوفة، و طلب مني أن أخرج مدافعي من أماكنها المستورة لمواضع مكشوفة مقابلها، وأن أرميها بها، فأجبته أن ذلك ممكن و ميسور من مواضعنا المستورة، ولكنه رحمه الله أصر على ذلك، و كان يقف معنا وراء يوسف بك قائد لواء المدفعية العقيد صدقي بك الكيلاني، و يشير إلي بحواجبه و رأسه أن لا أقبل إخراج المدافع من مواضعها المستورة، فرجوت يوسف بك بأن يقبل بإخراج مدفعين فقط من سترهما امتثالاً لأمره، فقبل رحمه الله.

المعركة

و في تمام الساعة السادسة و النصف (من ٢٤ تموز ١٩٢٠) بدأت الحرب، و اشتعل أوارها،وكان من غريب الصدفة أن ظهرت بآن واحد طلقة من العدو و طلقة منا، و كان مقر قيادتي ((و معي وزير الحربية رحمه الله، وقائد اللواء الأول للمشاة، و قائد لواء المدفعية)) على رأس رجم حجري فوق قمة تل الشراطيط، و أمامنا صخرة بارتفاع متر تسترنا إلى نصفنا فقط، و مركز الهاتف بقربنا، وكنا لا نبعد بموضعنا أو مقرنا هذا عن الخط الأول أكثر من خمسين متراً، و قد تعمدنا ذلك تشجيعاً للجند وللمتطوعة، بينما تؤكد التعاليم الحربية وأنظمتها أن يكون مقر قيادة الفرقة أو وزير الحربية إذا حضر المعركة بعيداً عن خط النار المقدار الكافي، ولكن واجب التشجيع وقلة العدد والمعدات أجبرتنا على اختيار هذا الموضع الخطر القريب، وأمرت من فوري أن توجه المدفعية نيرانها جميعاً على مدافع العدو الأربعة المكشوفة بشدة، و لم تمض نصف ساعة على بدء المعركة، حتى كسرنا مدافعه الأربعة المذكورة، و لقد سر وزير الحربية أيما سرور لهذه النتيجة الباهرة، و كان يفقش بيده اليمنى من شدة سروره و يقول: برابو برابو. وكانت مدفعيتنا مؤلفة من ١٠/مدافع عاملة و واحد في خط الجنود عند منعطف الطريق لضرب الدبابات، و آخر سريع على تل مرتفع خلف الجبهة لضرب الطيارات، ومدفعين صحراويين على تل يحكم منطقة التكية، و وراء الجبهة شمالاً، ومدفعاً بخان ميسلون مسلط باستقامة دير العشائر للمحافظة على ميسلون.

و لقد حمي وطيس القتال في الجناح الأيسر بين الهجانة والخيالة المترجلة من جهة، و بين أفواج جنود السنغال، ولكن و يا للأسف أن الخيالة المتطوعة المائة والخمسة عشر عندما اقتربوا من الجبهة و سمعوا أزيز الرصاص بشدة عادوا بخيلهم إلى دمشق، وأصبلتهم طائرات العدو قنابلها ونيران رشاشاتها بشدة، فأصيب منهم بضعة خيول، و كان تراجعهم سبباً لضعف معنويات الجنود المتطوعة القادمين من دمشق، حيث اعتقد الجميع أن الجبهة قد كسرت وسقطت، ودب الخوف في قلوبهم، وهكذا لم نستفد أبداً من

المتطوعة الخيالة، و كان سبب ذلك عدم امتثالهم للأوامر المعطاة بترجلهم وإبقاء خيولهم خلف خطوط القتال في مكان مستور حتى يحين أوان استعمالها في الهجوم و التعقب.

جبهة الجناح الأيمن

أما الجناح الأيمن و كان تحت إمرة قائد اللواء الثاني في جرد كفر يبوس، فلم يظهر منه أدنى حركة أو نشاط، و لم يسمع منه صوت أي انفجار كان، وقد علمت من قائد الجناح المذكور فيما بعد، أن ما وعد به قائم مقام الزبداني محمد بك الحلبي من وجود ألف و مائة مسلح من قضائه من الأهليين، وخمسمائة مُسلح من جماعة ملحم قاسم لم يتحقق منه شيء ما، وأنه ذهب بقوته المرسلة معه فقط مع القائم مقام و بضعة أشخاص من الأهالي فقط، إلى أن وصلوا إلى قرية قريبة من الجرد، حيث رجع القائم مقام مع رجاله، وتابع هو و جنوده مسيرهم إلى المكان الذي أمر أن يدافع منه، حيث تفقد ضابط المدفعية الملازم خالد نصري فلم يجده، و لما كانت مدفعيته مفككة لم يستطع تركيبها لتغيب ضابط المدفعية أو فراره، و لولا خيانة هذا الضابط لاستطاع الجناح الأيمن أن يعمل عملاً حسناً وأن يربك العدو لأن موقعه كان حاكماً على معسكر العدو.

أما تأخر القوات التي وعد بها قائم مقام الزبداني محمد بك الحلبي، فقد استغربتها كثيراً لأنني أعلم بأن محمد بك الحلبي رجل غيوّر يفهم الجندية لأنه ناشئ ضابط عشائر من مدرسة الحربية بالأستانة، وهو حتماً يفي بوعده، فسألته بعد وقعة ميسلون ببضعة شهور عن سبب التأخر، فقال: جماعة ملحم قاسم أخلفوا ما وعدوني به لأمر لا أعلمه حتى الآن، أما أهالي الزبداني فقالوا إنهم يريدون المدافعة عن بلدهم، و يخافوا إن خرجوا للجرد أن تداهم الزبداني قوة من العدو بدلالة أولاد الشماط من سرغايا و تستولي عليهم، لذلك فضلوا البقاء متيقظين بالزبداني لدفع الشر عنها، ولذلك ظهر أن القائم مقام لم يخلف بما وعد، و لابد أنه قد دخل بين أهالي الزبداني من حولهم عن قرارهم الأول، و هم بعض أذناب الافرنسيين قاتلهم الله.

و يقول قائد اللواء الثاني في تقريره الحربي أيضاً، إن عصابة توفيق الشماط ظهرت عليه من القرية المجاورة، و شغل بمحاربتها، و لم يبق معه من قوته إلا أربعون جندياً فقط، ويقول كذلك أنه ظهر اليوم الثاني - أي يوم المعركة- حضر ضابط المدفعية الملازم خالد نصري، وركب المدافع، ورمى بها على الجديدة بضعة طلقات، وأنه عند العصر وصلهم خبر بأن جبهة ميسلون قد انسحبت، فترك المدفعية لضابطها كي يفككها ويحملها ويلحقه، ورجع مع جنوده الباقين ورشاشاته إلى الزبداني، ومنها إلى معربة حيث وضع الرشاشات أمانة عند أهلها وعاد إلى دمشق بعد دخول الافرنسيين بيوم، وعُلم أخيراً أن الملازم خالد نصري أخذ بغال المدفعية لنفسه، وأعلم الافرنسيين بعد دخولهم عن مكان المدافع، وذهب معهم و سلمهم إياها، فكافؤوه باستخدامه عندهم، ولا أعلم أين هو اليوم.

جبهة القلب

أما جبهة القلب، فبعد أن كسرت مدافع العدو الأربعة المذكورة سابقاً، ثابرت على القتال بشدة لإسكات مدافعه ورشاشاته، وحوالي الساعة التاسعة والنصف، ظهرت علينا من فم وادي القرن أربع دبابات، فرميناها بالمدافع وكسرنا الأخير، و تقدمت الثلاثة الباقية، وعندها التفت إلي يوسف بك و قال: لقد اقتربت الدبابات الثلاث و لم تُصب، فأجبته: إن لدينا ألغاماً ثلاثة متتابعة ستكون لها بالمرصاد، غير أننا خاب ظننا عندما اقتربت من الجسر و مرت عليه و لم ينسف، وأخذنا نعلل النفس بأن الألغام الباقية ستعمل مفعولها، وأنه ربما طرأ على أشرطة اللغم الأول عُطل ما بسبب مدفعية العدو التي كانت تمطرنا بشدة بوابل من قنابلها، ولكن الدبابات اجتازت موضع اللغم الثاني ولم يطلق، فاغتاظ وزير الحربية و أخرج مسدسه، و اتجه نحو خط القتال ليقتل ضابط الاستحكام الذي قصر بواجبه، و رجوته أن يترك هذا لنا و أن يبقى في مكانه، وأمسكته من يده التي كانت تحمل مسدسه موجهاً إياه إلى دماغه، وأقسم أنه سينتحر إن لم أتركه، وانقلبت عيناه مثل الجمر، فتركته.

استشهاد وزير الحربيـة يوسف بك العظمة

و نزل باتجاه مكان الألغام، ولقد انفجر اللغم الثالث لدى حركتـه، حيث كـان يصيح بصوت عال شاتماً ضابط الاستحكام، فأحدث اللغم الثالث حفرة بعمق نصف متر لأنـه أصـغر الألغـام، وكـان انفجـاره قبل وصـول الدبابات لفوقـه بثلاثة أمتار، ومع هذا فقد تجنبت الدبابات الحفرة، وأدارت لنـا جنبها ووقفت بنظام النسق، وبدأت ترمينا بمدافع النورد الفلذ الصغيرة المجهزة بها، وقطر مرماهـا ثلاثـة سنتيمترات تقريبـاً، و لمـا انفجـر اللغم الثالـث لـم يتـابع وزيـر الحربية سيره إلى جهة ضابط الاستحكام، فـانعطف إلـى جانب الطريـق حيث يوجد المدفع الجبلي السريع، وعند وصـوله لموضـع المدفع أمـر النائـب الذي كـان لوحـده علـى المـدفع المـذكور أن يوجـه المـدفع علـى الـدبابات ويـرميهم مباشرة، والمسافة بينه و بين الدبابات المذكورة لا تزيد عن الخمسين متراً، ووقف رحمه الله مشيراً بيده إلى الدبابات و هو يقول ارمي هذه، و لكن المنية عاجلته حيث وجهت الدبابات نيران رشاشاتها عليه، فأصيب بصدره ورأسـه، وخر رحمه الله صريعاً شـهيد الإخـلاص والواجب، كمـا أصـيب نائـب المدفع وخر شـهيداً إلـى جانبـه، وكـان رحمـه الله عنـد سقوطه سند ظهره للمحرس وأدار وجهه نحوي وفيـه بقيـة من الحيـاة والدم يتدفق من فمـه، فحـالاً أمرت الصدّاح (المبوق) النائب محمد الترك أن يذهب بسيارتي ليأخذ وزير الحربيـة قبل أن يصل إليه العدو، ولمـا أرادت السيارة أن تـدور، أصـابتها قنبلـة مـدفع أطارت بابيها الخلفيين، وعـاد سائقها ولـم يتمكن من أخذ الـوزير الـذي أمـال رأسـه و سقط مسلماً روحـه الطـاهرة، و حضـر الصـداح وأبلغنـي مـا حصـل للسيارة، فأمرته أن يأمر السائق أن يحمل عليها الجرحى الذين هم بحاجة إلى عمليات جراحية و أن يذهب بهم إلى دمشق فيوصلهم إلى المستشفى، ويصـلح السيارة و من ثم يعود إلينا، فذهب و لـم يعد، و لكنـه أعلمنـي بعد الحـرب أنـه صـادف أثناء ذهابه في سـهل الـديماس نـوري باشـا السـعيد، وقد أوقفه و سـأله عني وعن يوسف بك، فـأخبره بمـا حدث، و لكنـه أخذ منـه البندقيات الأربـع المربوطة على السيارة، وأفرغ مـا فـي حقيبتـي الباقيـة فـي السيارة مـن أوراق وأوامر عسكرية في بطانية من بطانياتي، و أعاد إليه المحفظة فارغة، وأمره بمواصلة سيره.

و بعد ذلك بسنتين جمعتني الظروف بمعالي نوري باشا عندما حضر مرة لشرق الأردن، و كنت إذ ذاك مستشاراً خاصاً لسمو الأمير عبد الله ((جلالة الملك عبد الله حالياً))، فسألت معاليه عن المحفظة و عما قاله السائق المدعو صبري، فلم يخطر بباله تفاصيل الحادث، و ربما فعل ذلك حرصاً على ضياع البندقيات أو وقوع الأوامر في يد الأعداء أو بعض الخونة من أعوانهم.

و بعد استشهاد الوزير رحمه الله تقدمت إحدى الدبابات مخترقة خط القتال الأول، فتراجع بعض الجنود الذين على حافتي الطريق، غير أنني أرسلت إليهم بعض من كان بقربي من الضباط، وبينهم الملازم منيب الطرابلسي، فذهبوا شاهرين مسدساتهم و أعادوهم إلى الجبهة، والدبابة رجعت فارة، ورجعوا لي.

و من ثم تقدمت مشاة العدو من فم وادي القرن مندفعة كالسيل، واستعرت نيران معركة جديدة وشديدة بيننا و بينها حتى الساعة ١٢ و نصف، حيث سقطت قنبلة مدفع من عيار ١٥,٥ سنتيمتر أمام مقر القيادة ببضع خطوات، و أصاب ظرفها (أي القوان) بعرضه ساق رجلي اليمنى، وبقيت نصف ساعة على أثرها لا أعي و لا أحس برجلي.

بسالة نائب عربي سوري

و في أثناء احتدام المعركة تقدمت سرية للعدو تقدر بمائة و خمسين جندياً مع قائدها باستقامة رابية عالية على جانب الطريق و جنوبه، و كان يحمي هذه الرابية نائب مع ثلاثة من جنودنا النظاميين، فأصلى هؤلاء الجنود البواسل جند سرية العدو المتقدمة ناراً حامية بمعاونة رشاشة كانت قريبة من الرابية المذكورة، و لم يصل من سرية العدو المهاجمة إلى قمة الرابية إلا عشرون جندياً فقط مع قائدهم، و كان برتبة رئيس (كابتن)، و قد أشهر مسدسه على النائب الذي بقي من جُندَنا حياً، لأن الاثنين من رفقائه استشهدا إلى قربه، و بقي الثالث جريحاً يعاني ألم إصابته، وطلب الضابط الافرنسي من النائب السوري أن يستسلم و إلا قتله، فما كان من النائب الباسل الجريء إلا أن رمى الكابتن فجرحه، وهجم عليه وطعنه بحربته المركبة على بندقيته في صدره، ورماه على الأرض يتخبط بدمه، وهجم على جنده العشرين الافرنسيين الباقين وتعقبهم وهم يفرون أمامه بحربته، وردهم منهزمين إلى الوادي، وعاد إلى الرئيس (الكابتن) الافرنسي الذي كاد يصعق لرؤيته، ولكنه هدأ روعه و سقاه ماء وحمله إلى مكان أمين خلف الرابية، وهكذا سجل هذا النائب العربي صفحة خالدةً من الشجاعة و الشهامة العربية يخلدها التاريخ العربي بمدادٍ من نور، لاسيما و قد تمكن من عدوه وهو بمفرده، و لم يمثل به أو يصبه بسوء.

(و قد أكد لي هذه الحادثة أيضاً قادم من بيروت في اليوم الثاني للمعركة إذ يقول: عند وصولي إلى محطة رياق، رأيت هذا الضابط الافرنسي وهو جريح محمول على السدية، وكان يقص على إخوانه الافرنسيين قصته مع هذا النائب السوري العربي الباسل، فأثنى على مروءة العرب وقال: إن النائب أحسن إلي فسقاني و حملني إلى مكان أمين خلف الرابية الخ ...، وقال: حرام، بل وألف عار على فرنسا أن تحارب شعباً كريماً نبيلاً ينجب مثل هذا الجندي الشريف الباسل الشجاع. "وراوي القصة هو من أسرة كريمة في دمشق تتقن اللغة الفرنسية ")

جبهة الجناح الأيسر تهاجم

جبهة الجناح الأيسر قد حاربت بشدة و بسالة، وهزمت ثلاثة أفواج من السنغال، وقتلت عدداً كبيراً منهم، ومنعت العدو من التقدم حتى الساعة ١٢ (حيث حرض الهجانة من جماعة نسيب أبو داود صاحب حلوة الذي كان حضر مع خمسين من رجاله المسلحين، ومعه توفيق العريان وجماعته أيضاً، وكانوا قد قعدوا على رابية من التلال الجنوبية القريبة من خط دفاع الهجانة، وأخذوا يشجعون الهجانة ليكروا هاجمين على السنغال بقولهم (يا نشاما، يا ولد، على هؤلاء، يا ذبحان أسود، هاجموهم، نحن نحمي ظهوركم) فتحمس الهجانة وخالفت أمر القيادة بالدفاع المطلق لقلة عددهم، وهجموا على أفواج السنغال بالسلاح الأبيض.

تصدع الجبهة اليسرى

و لكنهم أصبحوا و يا للأسف بين ناريين، نار العدو و نار أعوانه الخونة نسيب أبو داود و توفيق العريان و جماعتهما الذين قعدوا خلف الهجانة، وأصلوهم ناراً حامية، و قتلوا منهم كثيراً، ورموا الهجن المعقولة بالرصاص فنفروها، و تصدعت الجبهة اليسرى، و تعقبتهم خيالة العدو التي كانت تزيد على الثلاثة آلاف، وأصبحت أمام دير العشائر ساعية لقطع خط الرجعة علينا من قلب الجبهة، وفي تلك الأثناء انقطعت الصلة الهاتفية بيننا و بين دمشق وبين المراكز لأن بعض الخونة قطع أسلاكها كما ظهر لي فيما بعد، وأخذ هؤلاء يحرضون المتطوعة و بقية الجند النظامي على الانسحاب وأخذ كل ما صادفوه من خيول الضباط وبغال المدفعية والعتاد.

الانسحاب

فعندما شاهدت هذه السلسلة من الحوادث المؤلمة، وأدركت أننا معرضون للإحاطة حتماً، قررت الانسحاب بصورة تدريجية، لاسيما و قد تأكدت أن الفرنسيين كانوا يعاملون من يقع في أيديهم من جندنا و متطوعين معاملة الأشقياء و قطاع الطرق، فيجهون عليهم، و لا يعاملونهم معاملة الأسرى في الأمم المحاربة الشرعية، لذا رأيت أن واجبي العسكري يأمرني بالتخلص من إحاطة العدو التي بدأت فعلاً من الجناح الأيسر و بكل سرعة، و بلّغت قائدي لواء المشاة والمدفعية ذلك، و كان إلى جانبي الأستاذ الشيخ صلاح الزعيم، فطلبت منه أن ينصح الجند ويحضهم على الثبات بما أوتي من حجة دينية وبلاغة، و ذهبت ساعياً لاختيار موضع خلفي ننسحب إليه، و لكني لم أجد خلفنا خيلاً و لا جنداً، و أعلمني مراسلي الجندي عبد القادر الغزاوي أن الخونة نهبوا الخيل و البغال، و أنه دافع عن حصاني و حصان مرافقي وملحقي بكل جهدٍ وقوة، و أنه لو تواني لأخذوهم منه.

و عند وصولي إلى التل الذي وضعنا عليه المدفع المتخذ كمضاد للطائرات رأيت ما ينوف عن مئة متطوع مسلحين، و لما طلبت إليهم الصعود إلى التل لسحب إخوانهم بمساعدتهم ما كان منهم إلا أن رموني برصاصهم بشدة، وسلمني المولى عز و جل منها، و أصيب عرف حصاني، فصعدت إلى قمة التل المذكور مع مرافقي و الملحق الملازم محمد سيف و ثلاثة من المتطوعين فقط، والباقين فروا باستقامة التكية، فرأيت من قمة التل أن الجبهة اليسرى متفرقة، و قد انسحب منها من بقي حياً و بصورة غير منتظمة، وكانت خيالة العدو تتقدم نحو خان ميسلون لإحاطتنا، وأدركت أن بقاء قواتنا الضئيلة الباقية في عقبة الطين أصبح خطراً جداً، فحالاً أمرت مرافقي حسني بك البحرة أن يبلغ قواد الألوية ضرورة الانسحاب إلى الخط الثاني، و ذهبت بنفسي إلى المدفعين الذين وضعتهما في مكان يحكم محطة التكية و يشرف عليها، و أمرت الضابط المدفعي الذي كان على رأس هذين المدفعين بأن ينسحب حالاً إلى الخط الثاني الذي هو في آخر سهل الديماس، فقال: و إذا لم أجد أحداً في الخط الثاني ما أفعل؟.. فقلت له: تتابع عندها الانسحاب إلى دمشق، وعدت إلى التل المشرف على المعركة لأشرف على الانسحاب، ووصل آنئذٍ أركان حرب المقدم الركن محي الدين بك الحيان، و معه علم

الفرقة المتلث و أربعة خيالة، و أعلمني أنه بقي إلى اليوم في دمشق لإنجاز أمور الفرقة، وأن خيالة العدو كادت تقضي عليه في الطريق، وأن الرجوع عن طريق خان ميسلون أصبح مستحيلاً.

فبعد أن اطمأننت على بدء الانسحاب و استمراره تراجعنا فعلاً من الجبال لنصل للخط الثاني لإيقاف واستقبال المنسحبين إليه، فلحقتنا طائرات العدو، فرميناها فابتعدت عنا، وعند وصولنا إلى قرية الديماس رأيت نايف الشعلان وكان قد حَضَرَ مع بدوه لمساعدتنا، يرابط على الطريق ويأخذ بنادق الجند العائدين و يقتل كل من لا يسلم بندقيته.

و رأيت الطائرة الافرنسية التي أسقطها مدفع الطيارة بمعرفة الملازم حمزة المدفعي أمام الصبورة في مزرعة السادة آل الحسيبي.

خط الدفاع الثاني

و من ثم توجهنا تواً إلى جديدة الهامة، و منها إلى آخر سهل الديماس، حيث كان مقرراً تأسيس الخط الثاني، فلم نجد فيه أحداً لا تحكيمات و لا ما يحزنون، غير محفار متروك بسترة محفورة بعمق نصف متر، و بطول عشرة أمتار فقط، رغم أن قائد دمشق السيد ياسين باشا الهاشمي كان تعهد بتأسيس الخط الثاني و إشغاله بالمدفعية و المشاة التي بقيت تحت إمرة الوزارة بدمشق، وكان فخامة الهاشمي قد عهد بتحضيره و حفره إلى العقيد الركن لطفي بك الرفاعي الذي صرح لي أخيراً بأنه لمْ تعط له الوسائط و لا العدد و لا القوة اللازمة لذلك، و كان هذا لنا خيبة أمل عظيمة، و رأينا بجوار الموضع سلماً منصوباً على عامود التلغراف والهاتف، وقد قطعت كافة أسلاكه. و فهمت أخيراً أن الذي فعل ذلك هو الجاسوس الخائن هاشم القباني، و الذي أتى من لبنان مع عشرين آخرين من أعوانه باسم متطوع، واشتبهنا بأمره كما ذكرنا سابقاً، و أرسلناه مخفوراً إلى دمشق حيث أطلق سراحه، و من ثم فعل خيانته هذه تحقيقاً لرغبة أسياده الافرنسيين، فاستحق لعنة الله و العرب إلى يوم الدين.

و من ثم تابعنا سيرنا إلى الهامة، حيث وجدنا سيارتين كان فيهما ياسين باشا الهاشمي، ونوري باشا السعيد، و بعض رجال البلاط. فهنأني الهاشمي

بالسلامة، و سألني مستوضحاً عن حقيقة استشهاد يوسف، و قال: إني أراك تعباً منهوك القوى، فأخبرته بتعبي و تأثري الدائم طيلة العشرة أيام الأخيرة، فقال: أعطنا المعلومات اللازمَة عن المعركة لنقدمها لجلالة الملك في الكسوة وأنت اذهب لتنال قسطك من الراحة و المعالجة الضرورية في دمشق، فسألته: هل أحضرتم لنا قطاراً لننسحب إلى درعا مع بقية قواتنا؟.. فضحك وأجابني: لا لزوم للقطار بل حاولوا أن تنسحبوا إلى جهة القنيطرة حيث الأمير الفاعور، فأجبته بأن ما بقي لدينا من الجند لا يعادل أكثر من جندي لكل مدفع وهذا لا يكفي، ولابد من قطار ينقلنا، وأحسن الوجهات هي درعا.

فكرة التفاهم لا تزال

و من الغريب المؤسف أن فكرة إمكان التفاهم مع الافرنسيين كانت لا تزال لديهم بعد هذه السلسلة الطويلة من الخيانات و الغَدر، حيث أجابني بأنهم سيرسلون وفداً للتفاهم مع الافرنسيين والتصالح معهم، ومن ثم ذهب إلى الكسوة و تابعنا نحن مسيرنا نحو دمشق، فصادفنا بعد قليل العقيد أمين بك مدور رئيس إدارة الفرقة الأولى قادماً من دمشق ووجهته ميسلون، ومعه بضع عجلات محملة بالأرزاق، فأعلمته بما حدث و قفل راجعاً معنا، و لدى وصولنا إلى الشادروان رأينا تبادل الرصاص بشدة بين المتطوعين العائدين و فصيل من الفوج الثاني المتروك في دمشق لأمر الوزارة، وكانت هنالك أيضاً رشاشة موضوعة قرب مقص القطار في البناء، فدخلت بين الفريقين وطلبت إليهم قطع النار، فقطعوها، و طلبت قائد الفصيل، فإذا هو الملازم لطفي، فسألته: لماذا فعل ذلك؟ وبأمر من؟ فأجاب بأن نوري باشا السعيد أمره أن لا يسمح لأحد بالعودة، فأجبته بأن الواجب الحربي كان يقضي بتوقيف الجند و المتطوعين العائدين عند الخط الثاني، و بعد أن يكون قد أعد و حفر من قبل، لا هنا في الوادي، و أمرته بأن يسحب فصيلة مع المتطوعين إلى الثكنة الحميدية، و ينتظر هناك الأوامر الجديدة.

المضحك المبكي

و آنئذ شاهدت قطاراً قادماً من دمشق، و عليه فريق من المتطوعين، فأوقفته عند المقص، وسألت مأمور السوق عن عدد القوة المرسلة معه على القطار، فأجاب خمسمائة متطوع عُزل من دون سلاح، بينهم خمسة عشر جندياً مسلحين، و كانت وجهتهم التكية، و من الطريف المضحك المبكي أن بعضهم كان يحمل نراجيل أو عصي و سلل، و البعض القليل سيوفاً، و لو تابع هذا الجمع سيره بالقطار إلى التكية لكانت كارثة أكيدة لأن العدو كان قد تجاوز المحطة المذكورة و احتلها، فأمرت القطار بالعودة حالاً إلى دمشق.

هل ندافع في درعا ؟

و تابعت سيري حتى وصلت إلى مفرق كيوان، حيث بدأت تنتابني حمى ورعشة شديدة، فطلبت من رئيس أركان الفرقة ((و كانت عودته من دمشق حديثة، إذ أنه لم يشترك في المعركة، وكان بمركز القيادة بدمشق)) أن يعد لنا قطاراً ينقلنا مع جميع من بقي لدينا من جنود ومتطوعة ومدافع ومعدات إلى درعا، حيث فكرت بإعادة تنظيم قواتنا و دفاعنا فيها، وإعادة الكرة على العدو إذا وفق الله، و أخبرته بأنني ذاهب من مفرق كيوان إلى منزلي في حي عرنوس لأتناول مسهلاً وبعض ما يمكن تداركه من علاج لمرضي، و لأنال و لو قسطاً زهيداً من الراحة والنوم، وطلبت إلى مُرافقي ومُلحقي أن يستريحا كذلك حتى الغروب في منزليهما، و كانا مرهقين تعبين يشاركاني في كل حركاتي و أعمالي، و طلبت منهما أن يوافياني مساءً إلى المحطة، وأمرت الرئيس طه المدفعي و الملازم المدفعي عبد القادر العراقي اللذين وجدتهما في الشادروان أن يجمعوا المدافع أمام ثكنة المدفعية (في الجنجانة) و ينتظروا أوامر رئيس الفرقة الذي كلفته بتحضير القطار ليؤمن نقلهم مع مدافعهم و مهماتهم بالقطار معنا إلى درعا، و عند وصولي إلى داري أمرت مراسلي بأخذ الخيل إلى الشاغور لعند والدي لتستريح و يعطى لها العلف، ويذهب بعدها للمحطة و ينتظر إعداد القطار، ومتى أعد حالاً يأتيني بالخيل إلى منزلي لأركب وأذهب إلى المحطة، ونذهب إلى درعا بالقطار، واستلقيت بمنزلي ساعتين بعد تناولي المسهل وبضع حبات من الكينين.

كيف سمح لي الافرنسيون بالبقاء
و تشكل الحكومة الجديدة

و انتظرت حتى الساعة ١١,٥ عربية حيث حضر المراسل بدون الخيل، فسألته عنها فقال: يا سيدي ليس هناك من قطار و لا سواه، و أنت وحدك كما يقول المثل العامي ((تحمل السلم بالعرض)) و إن أركان حربك لم يتمكن من إحضار القطار، و بعض الأهالي الخونة مشغولون بإعداد معالم الزينة لاستقبال الافرنسيين غداً، كما أن بعض المنتهزين للفرص هاجموا المدفعية وقتلوا الملازم عبد القادر العراقي و أربعة من جنود المدفعية، و نهبوا خيولها و بغالها جميعاً، وأصبحت المدافع كالحطب بالأرض، و ذهب جميع الجند و من بقي من المتطوعين إلى بيوتهم وقراهم بأسلحتهم.

فصعقت لهذا الخبر، و لهذه النتيجة المؤلمة المشؤومة، و علمت مع الأسف الشديد أن بعض من يدَّعون الجاه و النفوذ هم من صنائع الافرنسيين خرجوا ليدعوا الجيش الافرنسي إلى دخول دمشق، و أخبروه مطمئنين بأنه لم يبق أحد يفكر بالمقاومة أبدا، و على إثر ذلك دخل الجيش الافرنسي في اليوم الثاني.

و قبل ظهر ذلك اليوم وافاني إلى منزلي حضرة الوطني الغيور السيد أبو الهدى اليافي، وطلب إليّ أن أرتدي ملابسي الملكية حالاً، و أن أغادر المنزل. فسألته السبب فقال: وصل إلى رئيس الحكومة علاء الدين الدروبي قائمة بأسماء الأشخاص الذين يطلبهم الافرنسيون، فذهبت إليه تواً لأرى هل إسمي معهم أم لا ؟؟ فقعدت عنده بعدما علمت أنني غير مطلوب، و إذ ببرقية تصله من الجنرال غوابيه يقول فيها: ألقوا القبض على قائد الفرقة تحسين الفقير، واحتفظوا به لوصولنا، فحالاً أخذ التلفون و أراد أن يطلب مدير الشرطة حمدي بك الجلاد ليأمره بأن يلقي القبض عليكم، و كان التلفون بجانبي، فمددت يدي خلسة و رفعت أحد براغي الاتصال و رميته في الأرض، فلم يشتغل التلفون، فاضطر أن يتركه و يكتب مذكرة من أجلكم إلى مدير الشرطة، فاستأذنته وركبت حافلة الترمواي، و حضرت لكم بسرعة لأعلمكم مغادرة الدار قبل وصولهم.

فحالاً نبهت على من في الدار أن ينكروا وصولي و يقولوا لم يحضر ولا نعلم أين هو الآن، ويرجوهم أن يفتشوا علي و يعلموهم، و هكذا كان، ورجعوا بخفي حنين.

و توجهت أنا و الأخ الوطني أبو الهدى من بين البساتين بطريق عين الكرش إلى أرض الشاغور إلى منزل أحد أقربائي، حيث بقيت فيه أسبوعين مريضاً طريح الفراش، وكتم وجودي عندهم عن الجميع.

و بعد أن شفيت علمت أنه تشكلت في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠ حكومة برئاسة علاء الدين بك الدروبي من قبل الافرنسيين، اشترك فيها عبد الرحمن باشا اليوسف لرئاسة الشورى، و جميل بك الألشي لوزارة الدفاع، و جلال بك للعدلية، و عطا بك الأيوبي للداخلية، و بديع بك المؤيد للمعارف، و يوسف بك الحكيم للزارعة، و فارس بك الخوري للمالية.

ودعيت في اليوم الثاني من شفائي من المرض من قبل جميل بك الألشي وزير الدفاع حيث أبلغني أمر الجنرال غورو إليه و مفاده لزوم مغادرتي البلاد أي دمشق لمدة شهرين كمنفى أنا و أحمد بك اللحام، و عارف بك التوّام، و مصطفى وصفي بك، و ياسين بك الجابي، و محي الدين بك صادق. فأجبته بأنني لا أقبل مثل هذا الأمر، فإذا شاء هو و الافرنسيون أن يخرجونا قسراً إذا استطاعوا، و أنا سأحاربهم حرب عصابات مع أعوان لي من حي الشاغور و الميدان، فقال لي : (اذهب لا تحرقني بنارك). و فعلاً ذهبت و باشرت بإعداد ما عزمت عليه، و بعد يومين إذا به يدعوني للمرة الثانية، وخفت أن تكون هناك مؤامرة لإلقاء القبض علي، فتسلحت بما لدي، وقررت أن لا أسلم نفسي إلا جثة هامدة. و لكنني عند وصولي إلى وزارة الحربية أبلغني قائلاً: أبشرك أنه صدر الأمر بالسماح لك بالبقاء بدمشق حيث تأكد الافرنسيون من بعض الوثائق، و من برقية مرسلة من قبلك وجدت في ملفات (دوسيات) رئاسة الوزارة عندما كنت قائداً لمنطقة حاصبيا و راشيا تخطر فيها رئاسة الوزارة أنك ستخرج عصابة صبحي حضرة التي اعتدت على المسيحيين و الدروز من المنطقة حرباً إذا لم ينسحبوا بظرف أربعة وعشرين ساعة، و قد أجرى الفرنسيون تحقيقاً دقيقاً بحقك، وأفاد المستشار الافرنسي الكابتن دولامرسيه بالمنطقة المذكورة أنك دافعت عن النصارى والدروز، وحفظت المنطقة من كل تعدٍ، و لم يثبت لديهم أن لك يداً في

العصابات، و أنك حاربتهم بميسلون حرب رجل شريف، و أديت واجبك العسكري و الوطني بإخلاص، ولذلك فقد سمحوا لك بالبقاء في دمشق أو الخروج منها، فأنت حُر التصرف، على أنهم اشترطوا خروجك من الجيش، وإحالتك على التقاعد، و إعطائك الراتب الذي تستحقه و تريده. ((و لكنني بقيت أربعة أشهر بدون أي راتب ما)).

و بعد دخول الافرنسيين دمشق حرضوا بل أوعزوا إلى أذنابهم بعمل مظبطة يطلبون فيها ((مع الأسف الشديد)) خروج جلالة الملك فيصل من البلاد، و إنهم بلغوا جلالته بواسطة الكولونيل طولا ذلك كأنه حقيقة واقعة. وفي صباح ٢٨ تموز سنة ١٩٢٠، غادر جلالته درعا بالقطار إلى حيفا، وإنني كنت لم أزل مريضاً طريح الفراش، لذلك لم أتمكن من شرف اللحاق بجلالته.

و بخروج جلالته طويت صفحة مَجيدة من تاريخ الجهاد و النضال للحرية و الكرامة القومية، انتهت بفاجعة مؤلمة سببها الخونة من صنائع الافرنسيين، وقضوا بها على استقلال أمة مناضلة لم تنعم بعد بطعم الحرية التي نالتها بكفاحها و جهاد أبنائها إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، وأجهزوا على جيشها الفتي و هو لم يزل في مهده يستكمل مقوماته و معداته.

المذكرة الافرنسية من قبل الجنرال غوابيه
إلى الحكومة الإدارية الجديدة

بعد دخول الجنرال غوابيه إلى دمشق، بلغ الحكومة الإدارية الجديدة التي تشكلت مذكرة تضمنت ما يلي:

١- دفع عشرة ملايين فرنك كغرامة حربية.
٢- نزع سلاح الجيش السوري و تحويله إلى شرطة، و تسليم كافة ما تبقى من أسلحته ومعداته إلى الجيش الافرنسي.
٣- إن حكم الملك فيصل قد انتهى.
٤- تسليم كبار المذنبين لمحاكمتهم أمام مجلس عسكري
٥- نزع سلاح الأهالي بتقديم عشرة آلاف بندقية حربية للافرنسيين.

فرضيت الوزارة بذلك، و قبلت تلك المطالب، و تعهدت بتنفيذها، و دفعت الغرامة الحربية، وسلمت الأسلحة، و سرحت الجيش، و قد فرض الافرنسيون على المدن السورية الأخرى مثلما فرضوه على دمشق و أخذوه.

خسائر الافرنسيين في معركة ميسلون

علم من سجلات مدير الصحة لفرقة الجنرال غوابيه و الذي استلم المستشفى العسكري ((مستشفى يوسف بك العظمة حالياً)) أن الافرنسيين خسروا في المعركة أربعمائة قتيل و ألف و ستمائة جريح من الجند، وأربعين ضابطاً بين قتيل و جريح.

فإذا أمعن منصف متجرد بعدد العدو و عدده و هو كما يلي:

- ٨٠٠٠ ثمانية آلاف جندي من المشاة، أي أربعة ألوية فيها ثمانون رشاشة بين ثقيل وخفيفة.
- ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف خيال من السباهين و المراكشيين والافرنسيين.

١١٠٠٠ المجموع إحدى عشر ألف جندي.

- المدفعية : اثني عشر بطارية من المدفعية منها خمس بطاريات صحراوية سريعة، وخمس بطاريات جَبَلية سريعة، و بطاريتان من عيار

١٥,٥ سنتيمتراً لمدافع سريعة أوقص (أوبوس) فالمجموع ٤٨ ثمانية وأربعون مدفعاً.

- الدبابات : خمسة عشر دبابة، و كثير من سيارات النقل الكبيرة يتجاوز عددها المئة.
- الطيارات : خمس طائرات.

فإذا ما قورنت هذه القوات و المعدات بقوة الجيش السوري و عتاده وعَدده القليل وهو كما يلي:

- جندي نظامي : ٦٤ أربعة و ستون جندياً نظامياً بين مشاة و رشاش
- الحرس الملكي : ٦٠ ستون جندياً
- المدفعية : ٢٠ عشرون جندياً نظامياً.
- المتطوعون : ١٧٠ من الأهالي (مئة و سبعون متطوعاً) .
- هجانة : ٣٠٠ تابعين لجلالة الملك (ثلاثمائة هجان).
- الخيالة ٦٠ خيالا نظاميون (جنود و رشّاش)

المجموع : ٦٧٤ ستمائة و أربعة و سبعون رجلاً فقط لا غير.

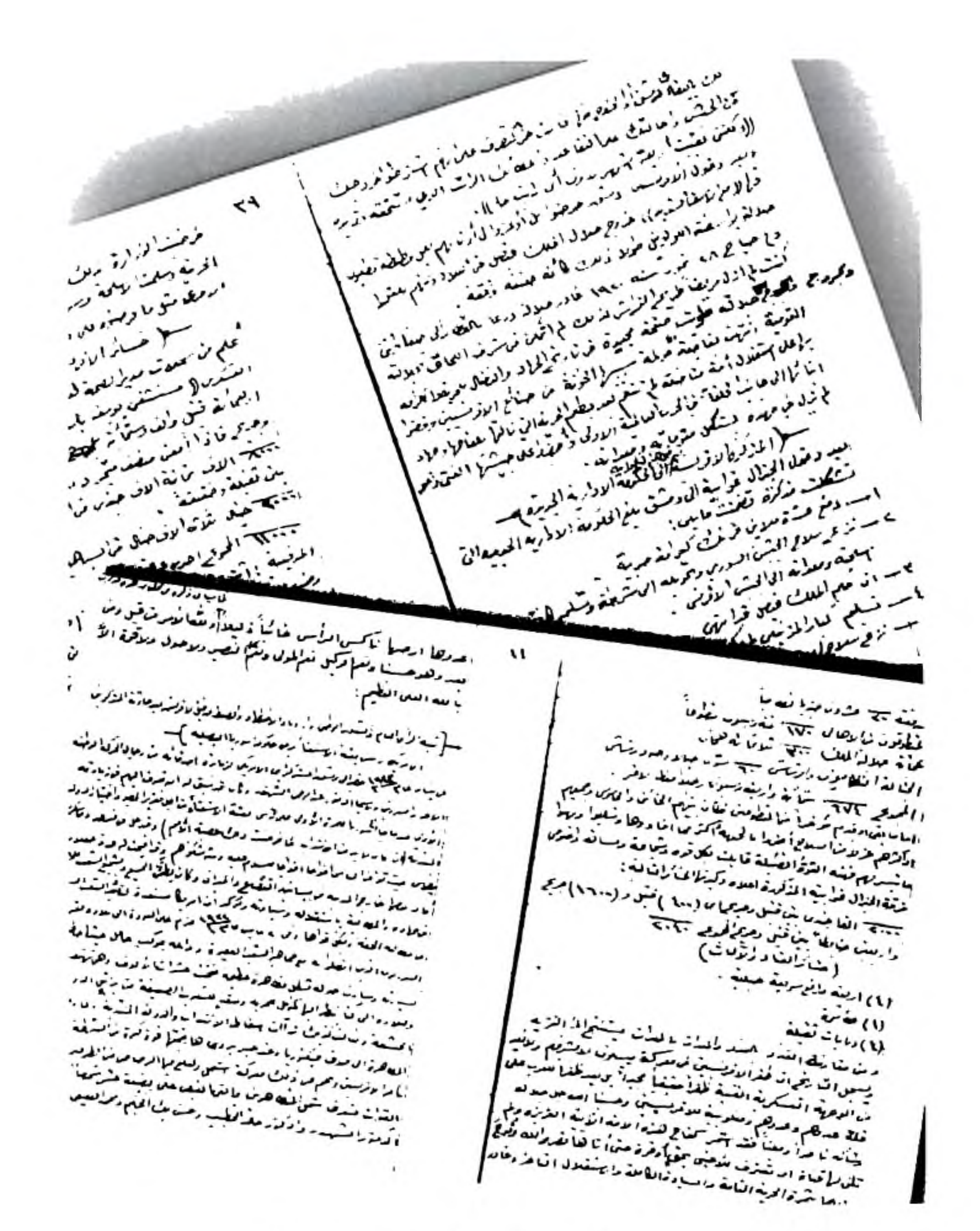
أما ما بقي أو قَدِمَ مؤخراً من المتطوعين، فكان بينهم الخائن و الجاسوس، و أكثرهم عُزّل من السلاح، أضرّوا بالجبهة أكثر مما أفادوها، و سلبوا ونَهبوا ما تيسر لهم.

فهذه القوة الضئيلة قابلت بكل قوة و شجاعة و بسالة و إخلاص فرقة الجنرال غوابيه المذكورة أعلاه و كبدتها الخسائر التالية:

٢٠٠٠ ألفا جندي بين قتيل و جريح
٤٠٠ اربعمائة قتيل و
٦٠٠ ستمائة جريح و
٤٠ أربعين ضابطاً بين قتيل و جريح،
٢٠٤٠ المجموع الفا واربعين

<u>خسائر العتاد و الآليات</u>

(٤) أربعة مدافع سريعة جبلية
(٤) دبابات ثقيلة و (١) طائرة



بعض مما ورد في مذكرات الفريق حسن تحسين باشا الفقير

و بمقارنة العَدد بالعَدد و المعدات بالمعدات يستنتج المرء النزيه و يسجل التاريخ أن ظفر الافرنسيين في معركة ميسلون لا يشرفهم، و لا يُعد من الوجهة العسكرية الفنية ظفراً حقيقياً مجيداً، بل يعد ظفراً للعرب على قلة عدَدِهم و عُدَدِهم ، و مغلوبية للافرنسيين.

و حسبنا الله جل جلاله و شأنه ناصراً و معيناً، فقد استمر كفاح هذه الأمة الأبية العزيزة ، ولم تلن لها قناة، أو تعترف للأجنبي بحق أو قوة حتى أتاها نصر الله و توج جهادها بثمرة الحرية التامة والسيادة الكاملة و الاستقلال الفاخر، وغادر عدوها أرضها ناكسَ الرأس خائباً ذليلاً. (كما سيأتي ذكره في محله من هذه المذكرات لاحقاً).

و لله الأمر من قبل ومن بعد، وهو حسبنا و نعم الوكيل، نعم المولى و نعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

رفض وعدم قبول الانتداب الافرنسي من المجاهدين وا لثوار السوريين، وبدء المقاومـة

تنبه الرأي العام والشعور الوطني وازدياد الاضطهاد والضغط من قبل الافرنسيين بعد حادثة المستر كراين الأمريكي رئيس بعثة الاستفتاء " بزمن حكومة سوريا الفيصلية "

في نيسان عام ١٩٢٢ حضر إلى دمشق المستر كراين الأمريكي لزيارة أصدقائه من رجال

الحركة الوطنية الأحرار السوريين، و لاسيما الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، و كان قد سبق له أن تعرف إليهم في زيارته الأولى عندما جاء إلى سوريا للمرة الأولى على رأس بعثة الاستفتاء من أجل تقرير المصير واختيار الدولة المنتدبة (إن كان لابد من انتداب كما فرضت ذلك عصبة الأمم) وقد حل في فندق دماسكوس بالاس، حيث توافد الناس أفواجاً أفواجاً للسلام عليه، وبثه شكواهم. و قد أقيمت له عدة حفلات ، كان بعضها خارج المدينة في بساتين القصاع و الميدان، وكان يطمئن الجميع و يُشجع الشعب للمضي في جهاده و المطالبة باستقلاله و سيادته، و يؤكد أن أمريكا مستعدة لتأييد الشعب السوري في مطالبه الحقة و بكل قواها.

و في ٢ مايس عام ١٩٢٢، عزم على العودة إلى بلاده، فقرر السوريون الذين اتصلوا به مع جماهير الشعب الغفيرة وداعه بموكب حافل، حيث أحاطت جموع بسيارته و سارت حوله بشكل مظاهرة عظيمة ضمت عشرات الألوف وهي تهتف له و لبلاده التي كنا ننظر إليها كمُؤمل للحرية، و منقذ للشعوب الضعيفة من براثن الدول الاستعمارية الجشعة، و تعالت كذلك نداءات إسقاط الانتداب و الدولة المنتدبة. و لما وصلت المظاهرة إلى فندق فكتوريا، و عند جسر بردى، هاجمتها قوة كبيرة من الشرطة والدرك بأمر الافرنسيين، و نجم عن ذلك معركة استعمل و لعلع فيها الرصاص من الطرفين، ثم تكاثرت القوات فتفرق شمل المتظاهرين، و القي القبض على بضعة عشر شخصاً كان من بينهم الدكتور الشهبندر، والدكتور خالد الخطيب، و حسن بك الحكيم، و محمد العفيفي، و كان بجانبي الدكتور محمود حمودة، فتمكنا معاً من الخلاص.

الدكتور الشهبندر واخوانه



بعض أفراد المقاومة



بعض أفراد المقاومة

الفريق تحسين الفقير محاطا بوجهاء المقاومة

اختفائي وهربي إلى شرق الأردن

و بعد أن تفرقت المظاهرة، أخذت القوات تفتش على أركان الحركة في بيوتهم وفي محلاتهم الكثيرة. و ذهبت عقيب المظاهرة إلى الغوطة إلى قرية جسرين، و ألقي القبض على كثيرين من الأخوان الوطنيين إثر التفتيش، فأرسل بعضهم إلى جزيرة أرواد، و سجن قسم كبير في سجن القلعة بضعة أيام، ثم أُخرج خارج البلاد، و من ثم حوكِمَ المسجونون بأرواد وبعض الفارين، فحكموا بأحكام مختلفة تتراوح بين سنة و عشر سنين وبعضهم بعشرين سنه وحتى المستر كراين نفسه حكم غيابياً بعشر سنين، و أنا بسبع سنين، فبقيت بجسرين أسبوعاً، و قد فتشوا علي بداري بالصالحية بعرنوس وبدار والدي بالشاغور، و بدور الأقرباء، و أرسلوا قوة إلى قرية المليحة بدار صهرنا السيد صبحي عرفة و فتشوه فلم يعثروا علي، و بعد بقائي بجسرين أسبوعاً انتقلت إلى قرية المليحة لدار صهرنا السيد صبحي عرفة، وهناك بقيت مقدار عشرة أيام حيث أحضر لي دليل من الميدان الفوقاني من محلة الساحة يدعى سعيد ليوصلني إلى شرق الأردن، وأحضروا لي فرساً، ولبست زيّ ا لجراكسة، أي بذة كاكي و جزمة و كوفية و عقال، ووضعت على الفرس سرجاً جركسياً كنت أحضرته معي من القفقاس بأواخر الحرب العالمية الأولى، وخرجنا قبل الفجر من المليحة بطريق بجهة الكسوة، ووصلنا مساءً إلى الشيخ مسكين، و بتنا فيها، و في اليوم الثاني توجهنا باستقامة الطرَّة و قبل وصولنا للطرَّة صادفنا خمسون خيالاً مع ضابط دركي كانوا قرب حدود شرق الأردن ليمنعوا مرور أحد إليها إلا بوثيقه، وعلمت أخيراً أن الافرنسيين وعدوا من يلقي عليّ القبض حياً أو ميتاً بأن يكافئوه بترفيع رتبته و خمسين جنيهاً، فعندما رأيت الدرك و الضابط وجهتهم إلينا، قلت للدليل المدعو سعيد: سر أنت لمقابلتهم و أنا أسير لجهة الشرق بعيدا عنك، فإن سألوك أين أنتم ذاهبون فقل لهم أنا دليل و هذا رجل يقال له محمد الجركس، من مرج السلطان، سرقت له فرس وعلم أن السارق أخذها إلى حوران حسب أثر الجرّة التي قصدها، فأحضرني لأذهب معه و تعقب جّرة الفرس و نحن الآن نعقبها، و ظهر لنا اليوم أن السارق سار بها لجهة الطرّة و نحن نتبع أثرها، فإن سألوا عن وثيقة فقل خرجنا بسرعة وعجلة كي لا نُضَيِّعُ أثر جرة الفرس، و لم نأخذ وثيقة، فإن قالوا لك لا يمكن الذهاب لشرق

الأردن إلا بوثيقة، فقل لهم إذاً تذهب إلى درعا لنأخذ وثيقة، و عُدْ حالاً لطرفي.
فذهب إليهم و سألوه كما تصورت تماماً، و قالوا له إذهبوا إلى درعا وأحضروا وثيقة لكما، فتوجه لجهتي و سرنا معاً باستقامة درعا، و قلت له بعد أن نبعد عنهم و نغيب عن أنظارهم نعكف إلى جهة الطرّة، و لم يمض على سيرنا خمس دقائق حتى لحق بنا خمسة خيالة يغيرون على خيولهم وصاحوا بنا قفوا، فوقفنا، فقال رئيسهم إن الضابط يدعوكم ليعطيكم من آمر السرية وثيقة لكي لا تتعبوا و تذهبوا إلى درعا، هيا بنا إليه، فرجعنا و هم ساروا من خلفنا، فقال الدليل سعيد: يظهر أنهم عرفونا، فقلت لا بأس سِرْ، فعند وصولنا إلى الضابط وكان يبعد عنا نحو خمسين متراً تحققته و عرفته وكان تلميذاً عندي في المدرسة الحربية الفيصلية بدمشق عندما كنت ألقي على التلامذة درساً في قسم المحاربة من كتاب تعليم المشاة، واسمه زهير من محلة الميدان، فعرفته تماماً، فقلت للدليل سعيد قف محلك، و تقدمت إليه و أنا على فرسي و كنت ملثماً، فرفعت اللثام عن وجهي فعرفني، فقال: أرجوك أن لا تؤاخذني ، فقلت له: مشينا يا زهير، فقال: مرحباً، و صاح بالنائب يوسف وقال له: عرفناهم، هم رجال أمناء يذهبوا و يعقبوا جرة فرسهم لكي لا يضيعوها، و عند عودتهم يأتونا من شرق الأردن بوثيقة تثبت أنهم وجدوا فرسهم، ومن ثم سرنا بسلام، و أرجوا الله أن يوفقني في المستقبل لمكافأة هذا الضابط الوطني الشهم.
دخلنا حدود شرق الأردن، و بتنا في قرية الطرّة، و ثاني يوم أرسلت كتاباً مع الدليل إلى الضابط زهير أعلمته أنني أمسكت السارق و الفرس، وسمحت عن السارق لاحتياجه، وأنني أخذت الفرس و سأذهب بها لحيفا لأبيعها هناك و أعود عن طريق القنيطرة، و شكرته على معروفه ومروءته، ورجوته أن يسهل سفر الدليل إلى دمشق، فوصل إليه وسلمه الكتاب وهو بإمضاء محمد الجركس من مرج السلطان، فأكرمه و سهل سفره لدمشق.
و ثاني يوم توجهت إلى إربد يَصحَبُني جندي دركي من جنود شرق الأردن، فوصلتها العصر. وصادف إذ ذاك وصول سيارة من درعا عصر ذاك اليوم إلى إربد و فيها أحد تجار إربد، وعلم جواسيس الافرنسيين بوصولي لإربد لأن الأخوان السوريين هناك سلموا علي، و احتفلوا بوصولي، و ظنوا أنني حضرت بالسيارة، فأرسلوا خبراً لدرعا بذلك،

فسجنوا سائق السيارة خمسة عشر يوماً لزعمهم بأنه هو الذي هربني من درعا لإربد، و ثاني يوم ذهبت بصحبة جندي دركي من إربد إلى جرش.

وصولي إلى عمان ومقابلتي لسمو الأمير

وثالث يوم صباحاً تحركت من جرش إلى عمان، فوصلتها مساءً، حيث قابلت سموّ الأمير عبد الله ، فرأيت من سموه كل إعزاز وإكرام . وكان إذ ذاك رئيس النظار بعمان دولة رضا باشا الركابي، وكان مديرا للأمن العام نبيه بك العظمة، فهيأ لنا محلات للنوم والأكل والشرب.
وقد وصل إلى عمان مع وصولي السيد شفيق سليمان، وبضع رجال من إخواننا الوطنين الفارين من دمشق، وأذكر منهم رشيد بك بقدونس، والشاب سعيد قناع .

بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٢٢م أصدرت الإدارة الملكية الهاشمية بتعيني حاكما عسكريا لمعان، وقائداً لفرقتها النظامية التي أمرت بتشكيلها وتأليفها هناك الخ.. وفي ٢٥ تشرين ثاني ١٩٢٢م قررت الإدارة بتعيني مديرا للأمن العام عوضا عن غالب باشا الشعلان الخ...

*** سيرد ذكر كل ما يخص جهادي في شرق الأردن جملة وتفصيلاً في كلٍ من الجزء الثالث والرابع من كتاب:< عن جهادي في شرق الأردن و حرب الحجاز.**

محاولة الإنكليز لإلقاء القبض على سلطان باشا الأطرش وإخباري له بذلك و إنقاذ سعادته منهم

في ٢٥ تشرين ثاني ١٩٢٢م قررت الإدارة الهاشمية تعيني مديرا" للأمن العام و بعد برهة وجيزة التجأ سلطان باشا الأطرش إلى منطقتنا على إثر ثورته و محاربته مع الفرنسيين (حيث قامت القوات الفرنسية على أثر ذلك بمداهة موقع سلطان باشا الأطرش وإعتقلوا أدهم خنجر الذي كان ضيفه، وأخذوه بالطيارة إلى بيروت حيث أعدموه)،

نزل سلطان باشا بالغدين بمنطقة الزرقاء مع أهله و بعض أقاربه و يبدو أنه قد حصل إتفاق ما بين الفرنسيين و الإنكليز لأجل إلقاء القبض عليه وتسليمه للفرنسيين، و أرادوا إجراء هذا الأمر بصورة فورية و مستعجلة. وفي ظهر أحد الأيام اتصل بي هاتفياً وكيل رئيس النظار و طلب إلي أن أذهب إلى القيادة و أن أنتظر قليلاً ريثما يحضر لمقابلتي بك باشا لأمر مهم، فانتظرت حتى حضر بك باشا و سلمني أمراً عليه إشارة محرم ، ففضته وإذا به أمراً بأن أساعد بك باشا و أن آمر الجند الموجودة في الزرقاء ليذهبوا معه و يساعدوه في إلقاء القبض على سلطان باشا الأطرش، و رجاني بك باشا أن أحرر أمراً للقائد الموجود في الزرقاء بذلك، و أنه سيذهب بنفسه على رأس القوة للقبض على سلطان باشا. فدهشت لهذا الطلب و لكني كظمت غيظي ولم أظهر أية إمارة تدل على عدم ارتياحي لهذا العمل، بل قلت له مرحباً تفضل استرح قليلاً ريثما نكتب لك الأمر، و أمرت المراسل أن يعملوا له قهوة، ودعيت مرافقي الملازم صدقي و أمليت عليه أمراً لقائد الزرقاء بأن يعاون بك باشا و يضع الجنود تحت إمرته. و بأثناء إملاني الأمر ، سراً أمرته أن يبقي مسودة الأمر في مكتبه و أن يذهب بسرعة البرق إلى أبو محمود كيوان الموجود بعمان ، و الذي كان وكيل سلطان باشا، و يعلمه بأن يركب فرسه بسرعة و يسبق القوة و يخبر سلطان باشا ليتوارى عن الأنظار من خيامه، فذهب و فعل ما أمرته به، و عاد و كتب الأمر لقائد الزرقاء وأحضرة، ومضى على هذه العملية مقدار نصف ساعة كان فيها بك باشا يقوم و يقعد ويقول تأخرنا، فمضيت الأمر و أعطيته إياه ، فأخذه و ذهب بسرعة، و كان أبو محمود كيوان قد سبق القوة بفرسه و أخبر سلطان باشا، فترك مضاربه

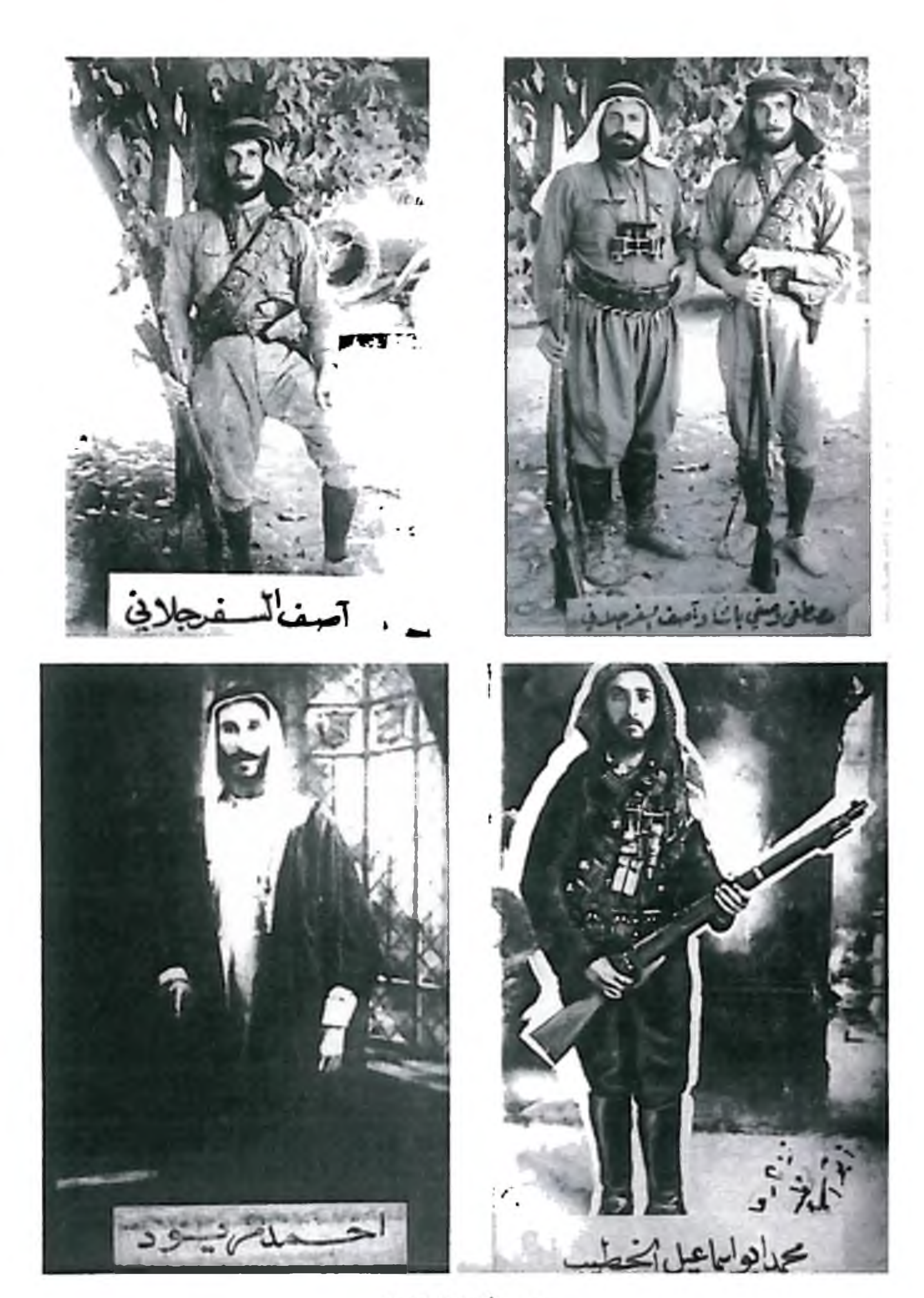
توارى بعيداً، فوصلت القوة فلم تجد في المضارب إلا النساء والأطفال، فلم تتمكن من عمل شيء و عادوا أدراجهم فاشلين.
و بعد مدة علم بك باشا بواسطة جواسيسه ما فعلت، فكان يحتج على وجودي مديراً للأمن العام و يقول: تحسين يخرب علينا عملنا بصورة دائمة، و استاءوا الإنكليز من هذه المسئلة و أصروا على الحكومة بإلحاق مديرية الأمن العام بقوة السيار التي كانت تحت قيادة بك باشا، و كنت أخالف كل المخالفة تسليم قوة الأمن الوطنية للإنكليز.

عصيان قوى الأمن الوطنية

في تلك الأثناء قرر حزب الإستقلال في جلسة كان حاضرها معالي الأمير عادل بك ارسلان وأحمد مريود وغيرهم من الرجال الوطنيين عصيان الدرك كي لا تضم مديرية الأمن العام الى بيك باشا ،وأمروا قائد سرية الدرك بعمان الرئيس محمد بك العجلوني إذ ذاك والوزير المفوض لحكومة شرق الأردن في بيروت بعدها .ولم يخبروني بهذا القرار. فخرج محمد علي بك بمائة وعشرين خيالا من عمان وأخذ باقي السرية من مأدبا وهي خمسون خيالا كان يقودها الملازم رضا قويطين ورابط بجوار وادي السير وأظهر عصيانه ، فاهتمت الحكومة للأمر وتوجزت شرا وتذاكرت مع الإنكليز حيث قرر الإنكليز ضرب العاصين بالطيارات و الدبابات وفرحوا بهذه الفتنة وعدوها فرصة للقبض على الوطنيين اللاجئين إلى شرق الأردن من سوريا وإخراج سمو الأمير من عمان و الإستيلاء على المنطقة وضمها لفلسطين ، ولو نجحوا بذلك لكانوا إحتلوا البلاد عسكريا وقضوا عليها وعلى اللأمير من ذلك الوقت وشتتوا الوطنين اللاجئين لشرق الأردن أو ألقوا القبض عليهم وسلموا من يسلم منهم الى الإفرنسيين. فذهبت صباح الجمعة لزيارة وكيل رئيس النظارة معالي مظهر باشا رسلان ووجدت عنده رئيس البلدية سعيد باشا خير و وكان معاليه قلقا لإن الإنكليز قرروا ضرب سرية محمد علي بك العجلوني وجنوده صباح السبت الساعة الخامسة قبل الزوال. ولا يعلم إلا الله ما سيحصل بعدها في البلاد والأمير حيث كلنا في خطر.



بعض أفراد المقاومة



بعض أفراد المقاومة



من قائدي المقاومة



من قائدي المقاومة



بعض أفراد المقاومة

إنقاذي للموقف

حالا أخذت المسؤلية على عاتقي وقلت لمعاليه أن الدرك لم يعص ولم يقم بعصيان ،وأنا الذي أرسلت محمد علي بك العجلوني مع سريته لترحيل العشائر من جوار الزرع . فقال تحسين أنت مجنون كيف تأخذ المسؤلية على عاتقك و الإنكليز والحكومة قد قرروا ضربهم ، فقلت لمعاليه هذا لايمكن وأنهم ذهبوا بأمر مني وأنا قادر في أي وقت على جلبهم . فتعجب وحالا خابر سموا الأمير بالهاتف وأعلمه بما قلت، فقال لي الأميريا تحسين أذا كان ماقلته صحيحا حالا إذهب وإجلب العاصين وخلصنا من هذه الفتنه .
وخرجت حالا الى دائرتي في مديرية الأمن العام وكتبت أمرا لمحمد علي بك أمرته فيه بأن يذهب بما يتمكن من قوة الدرك لجوار وادي السير وناعور وأن يرحل العشائر النازلة بجوار الزرع ويعلمني يوميا بما يفعل ،ووضعت تاريخ الأمر قبل عصيانه بيوم . وأخذت الأمر معي وركبت مع مرافقي الملازم صدقي وتوجهنا نحو الجنود العاصين فلما رؤنا عن بعد حالا إنتشر قسم منهم وأخذوا مواضع تجاهنا بقصد رمينا فلم نعبأ بهم ولكن إحتياطا للأمر أمرت مرافقي صدقي أن يتاخر عني وينتظر وصولي لعندهم.ربما رؤنا خيالين فظنونا كشف ويرمونا. فتأخر صدقي عني . وأغرت نحوهم على حصاني فلما قربت منهم حققوني قالوا هذا مدير الأمن العام ووقفوا بالمواضع على أقدامهم . فسلمت عليهم وردوا السلام فقلت لهم أين قائدكم محمد على بك؟ نادوا اياه . فحضر ورأيته مضطرب جدا من قرار ضربه .فناولته الأمر الذي أحضرته معي فقراءه وتهلل وجهه وفرح وقال الله يطول لنا عمرك ويقدر الأمة العربيه على مكافأتك. وأراد تقبيل يدي ز فقلت له إ'ستغفر الله . عجل يابني حالا إجمع قوتك لتنزل الى عمان وعندما يسئلونك عن العصيان إبرز لهم أمري وقل لهم نا لست بعاص أنا مأمور أرسلني آمري مدير الأمن العام . وأجريت أمره. وحذرته من الإعتراف بمسئلة العصيان . فجمع الجنود حالا ورتبهم برتل المسير وركبت وسرت أمامهم ودخلنا عمان من جهة محلة المهاجرين . وإنتهت المسئلة بصورة مشرفة والحمد لله ، ولكن الإنكليز غضبوا علي من العمل الذي جعل من جميع إجرآتهم والتي كان مرادهم عملها عقيمة. ولكن سمو المير فرح بعملي هذا الذي أخمد الفتنة وخلص البلاد من شر مستطر.

وصولي لمقر سلطان باشا الأطرش للأزرق من أجل الثورة السورية
و وصول زعماء الثورة لعمان

بعد أن أستقر سلطان باشا الأطرش في منطقة الآزرق بالأردن، ذهبت اليه عدة مرات ليلا و تكلمت معه من أجل قيادة الثورة السورية، و قدمت له بعض التعليمات من أجل الثورة، و حرضته على إشغال منطقة اللجا لأنها معقل جيد خوفاً من أن يشغلها الفرنسيون و يضيقوا الخناق على الثوار التي بدأت تحضر لعمان من الغوطة أفواجاً أفواجاً، و تقريباً كل زعمائها حضروا و حتى قائد الثورة بالغوطة مصطفى وصفي بك السمان، و عبد الرحمن بك الشهبندر، و لكن عبد الرحمن بك الشهبندر لم يقعد بعمان إلا قليلاً و سافر لمصر، و كان وصله من المستر كراين الأمريكي إعانة شخصية لذاته، فآثر الثورة على نفسه، و سلم هذه الإعانة إلى اللجنة المالية بعمان، التي كان يرأسها عادل بك العظمة، مع بعض الأخوان المجاهدين قبل سفره لمصر، وذهب بالسلامة.

و وصل إلى عمان أيضاً حسن بك الحكيم، و الأمير عز الدين الجزائري، و نسيب بك البكري و أبو عجاج إبراهيم الشيخ و أخيه أبو عبده ديب الشيخ و محمود سلوم زعيم ثوار الشاغور بعد شهادة البطل المرحوم حسن باشا الخراط، و زعيم قرية القدم أبو موسى القديمي و معه بعض المجاهدين من ثوار القدم الشريف و سعيد عكاشة و إخوانه و بعض المجاهدين من ثوار دمر و التغلبي و غيره و من بقي حياً من الضباط الذين كانوا يحاربون معي بجدة بحرب الحجاز، و الذين أرسلتهم بعد انسحاب الوهابيين من أمامي بجدة ليلتحقوا بالثورة السورية بالغوطة و هم: شوكت العائدي و شفيق الركابي وعبد الوهاب عمر باشا و حسين موسى قائد المدفعية و التحق معهم أيضاً سعيد بك العاصي و كثير من رجال و زعماء ثوار قرى الغوطة، منهم من برزة أبو محي الدين أحمد شعبان زعيم ثوار برزة و من دوما الزعماء أبو محمود غنيم خيتي و أبو عمر محمود خيتي و يونس خنشور و كثير من الثوار الدوامنة و من الصوالحة الزعيم أبو حسن الزط و أخيه أبو عباس ومن الأكراد مجاهدون كثيرون. و غصت عمان بالزعماء و الثوار و زكي بك الحلبي و غيرهم.

و وصل أيضاً زعيم قبر عاتكة أبو إبراهيم سعيد الأذن و سليم المفتي وزعيم داريا خليل بصلة و الزعيم الدرخباني و زعيم الميدان الفوقاني الشيخ محمد الأشمر و من الشباب الأمير أحمد الشهابي و كثر من زعماء الثورة من بعلبكيين و بقاعيين و غيرهم و الزعيم خالد أبو شاكر القلعجي من العمارة و اجتمعوا بداري عدة مرات لتقرير العمل اللازم لإعادة الثورة بالغوطة.

تكليفي استلام قيادة الثورة و أعلن نفسي قائداً لها من قبل الأخوان المجاهدين شكري بك القوتلي و الحاج عثمان بك الشرباتي

وصلا إلى عمان المجاهدين الكريمين شكري بك القوتلي و الحاج عثمان بك الشرباتي و كلفوني أن استلم الثورة و أعلن قيادتي لها، فقبلت ذلك وطلبت منهما أن يكون عندي قوة تنفيذية مقدار ستون ثائراً لأجل خطة و تنظيم شؤون الثورة و منع ضرر بعض الجواسيس المتلبسين بلباس الثورة لأنهم يسعون لتشتيت الثورة و إبادتها، و قلت لهما: دبروا لهؤلاء الستين شخصاً راتباً لستة أشهر فقط و أنتم تولوا الصرف عليهم بيدكم و بعد ستة أشهر لا أطلب لهم راتباً و لا غيره، فأنا أديرهم بعد أن تستعيد الثورة مسيرتها الأولى إن شاء الله.

فذهبا ليتكلما مع اللجنة المالية التي كان يرد إليها المال من أمريكا ، و كنا نسمع أن اللجنة أرسلت لسلطان باشا عدة مرات معاونة و في كل مرة عدة ألوف الجنيهات و حقيقة المرسل لا يعلمه إلا الله و سلطان باشا.

وصول محمد باشا البسام و محمد باشا العصمي لعمان مرسلين من قبل الفرنسين لإقناعي بعد استلام الثورة و وعودهم لي و رفضي

و على أثر اجتماع زعماء الثورة بداري عدة مرات ،أعلم الجواسيس المنبثين بعمان الفرنسيين بأن تحسين باشا الفقيرسيستلم قيادة الثورة السورية

التي فشلت بالغوطة، فحالاً أرسلوا إلي من دمشق محمد باشا العصمي ومحمد باشا البسام، وبعد وصولهم إلى عمان حضروا لزيارتي و أجرينا لهم الضيافة اللازمة، وبعد أن أستأ نسوا مني فاتحوني بمسألة استلامي قيادة الثورة و بدؤوا ينصحوني و يعدوني بمواعيد وإعطاآت إذا صرفت النظر عن مسألة قيادة الثورة، فلم أقبل، و أخيراً بدءا يهدداني، بأنني إذا استلمت قيادة الثورة فالفرنسيين سيخربون بيوت آل الفقير كلها و حتى بيوت أقاربهم بدمشق، و يفعلوا كذا و كذا، فلم آبه بتهديداتهم و قلت لهما إنني أعطيت قول شرف بقبولي القيادة للزعيمين المجاهدين شكري بك القوتلي و الحاج عثمان الشرباتي و طلبت منهما شرطاً بسيطاً فإذا قاموا به فحالاً سأعلن أنني استلمت قيادة الثورة و أتوكل على الله. و إذا لم يتمكنوا من إجراء طلبي وشرطي فلا أستلم و أبقى بعمان أنتظر الفرص و الفرج.

و عادا لدمشق مكسوفان و كلما الفرنسيين بإصراري على استلام الثورة، فحالاً الفرنسيين أمروا محاكمهم العسكرية بأن تحكمني بالإعدام، فحكموني بالإعدام غيابياً و كانوا قبلاً عند نزوحي من البلاد عام ١٩٢٢ على إثر حادثة المستر كراين الأمريكي حكموني بالنفي لمدة سبع سنين

كتابي لدمشق لوالدي

فعندما كنت أنتظر جوابا شكري بك القوتلي و الحاج عثمان الشرباتي ولكي لا يحصل لي تأخر بإعلان قيادتي للثورة كتبت مكتوباً لوالدي بدمشق بأن جلالة الملك علي طلبني لبغداد فإذا حصل سفري من عمان لبغداد بصورة فجائية فلا تقلقوا، و صممت على أن أخبر والدي بعد استلامي للثورة أن جلالة الملك طلبني بسرعة و خرجت بالسيارة قاصداً بغداد، فعند وصولي إلى الأزرق تعرضني زعماء الثورة و قالوا لي لا يمكن أن تذهب إلى العراق فأنت قائدنا و أجبروني على قبول قيادة الثورة ، و استلمتها و بهذه الوساطة أكون أفهمت والدي أنني استلمت قيادة الثورة قهراً لا باختياري، لكي يعذرني إذا حصل عليهم ضرر بدمشق من إستلامي القيادة.



بعض أفراد المقاومة





بعض أفراد المقاومة

حضور الزعيم شكري القوتلي و الحاج عثمان الشرباتي لعندي

و بعد كتابي للوالد الكتاب كما ذكرت أعلاه حضر لعندي السادة المجاهدين شكري بك القوتلي و الحاج عثمان الشرباتي و أعلماني أنهما لم يتمكنا من تدبير راتباً لستين ثائر لمدة ستة أشهر أبداً و أن اللجنة المالية إدعت بعجزها عن تقديم هذه المعاونة و خاطباني أنت رجل معروف و محبوب فلا لزوم لقوة تنفيذية و تدبير راتب لأحد الآن فمجرد ما تعلن قيادتك للثورة فكل الأمة تلحق بك و تعيد للثورة سيرتها الأولى. فقلت لهم لا يمكن أن أخاطر بنفسي من دون قوة تكون بجانبي، تأتمر بأمري لأسيطر بها على الموقف ، فربما يحضر بعض جواسيس الفرنسيين و يغتالوني إذا لم يكن عندي أحد ويخدمون الفرنسيين و يأخذوا منهم جائزة كبيرة و يبطل عملنا و نفشل، فكيف اللجنة المالية تضن علينا بمبلغ بسيط لإعادة الثورة، و المال يتدفق عليها من أمريكا و غيرها مثل الماء من أفواه القرب، وإذا كانت اللجنة لا تساعد بهذه المساعدة الصغيرة، فماذا تفعل بالمال الوارد عليها و هو باسم الثورة يصلها لا باسم غيرها يصلها لا باسم غيرها.

فذهبوا لإقناع اللجنة المالية و يئسوا منها و توجهوا لمصر لا قوة إلا بالله.

انتخابي أنا و حسن بك الحكيم من قبل زعماء الثورة لمراقبة الوارد و المصروف على اللجنة المالية للثورة السورية

فزعماء الثورة عندما رأوا تقصير اللجنة المالية بحقهم و بحق إعادة الثورة، اجتمعوا و قرروا أن يضعوا مراقبين عليها، فانتخبوني أنا و حسن بك الحكيم للمراقبة على الدخل و المصروف و بلغوا اللجنة ذلك، و حضرنا كم جلسة فلم يطلعونا على أي شيء و كانوا يشتغلون مع الحاج أديب خير وغيره و يرسلون ما شاؤوا لمن شاؤوا، فقال حسن بك الحكيم بدنا نتصادم مع اللجنة و لا نستفيد شيئاً أو نفيد الثورة بشيء، فانسحبنا من المراقبة ولازمت داري بالمهاجرين في عمان، و كان زعماء الثورة يترددون علي ولا يعملوا عملاً بدون مشورتي.

حضور الأمير عز الدين الجزائري لعندي لاستشارتي بمسألة

حضر يوماً لعندي المجاهد الأمير عز الدين الجزائري فقال: يا تحسين باشا مرادي أخذ رأيك بمسألة مهمة،.. فقلت له: ما هي؟ .. فقال: دعاني الكابتن الإنكليزي الموجود بعمان، و سمى لي اسمه و قال: كلفني أن أهاجم درعا مع رجالي و بعض إخواني الثوار و أحتلها و بعد احتلالها سيقدم لي كل ما أريده من عتاد و أرزاق و معاونة لي وللثوار، و إذا لم أوافق على احتلالها فإنه مضطر لأخذ قرار و إخراج جميع الثوار و زعماء الثورة من عمان فما قولك؟..

فقلت له: يا أمير الإنكليز يفتشوا دائماً على مصالحهم، متى احتليتوا درعا و سلمتموها سيأخذون حوران كلها، و نحن ما قمنا بالثورة لنمزق بلادنا قسما للفرنسيين و قسما للإنكليز. بل قمنا بها لنخرج الفرنسيين منها... نعم ما قاله لك الكابتن الإنكليزي إذا وافقت عليه ربما تستفيد أنت و الثوار عتاداً و مالاً وأرزاقاً و لكن درعا و حوران سيضيعا أبدياً و تنفك عن سوريا، فوازن بعقلك النفع و الضرر، فإذا رجح لك النفع فأقدم و أجريه، و إن رأيت الضرر أكثر فلا تجريه.

فقال: كيف نعطي درعا بعد أن نحتلها و نسلمها بأيدينا للإنكليز؟.. هذا أمر لا يمكن و لا يقبله أي رجل وطني حر شريف و أنا سأرفض طلب الكابتن. وذهب و رفض طلبه.

إخطار الإنكليز الثوار السورين الخروج من عمان وإلا يسلموهم للإفرنسيين

و إذ من ثاني يوم تم إخطار الإنكليز للثوار السوريين أن يخرجوا من عمان و إلا يسلموهم للفرنسيين. وعليها إنسحب الثوار و الزعماء من عمان الى الأزرق و بعضهم إلى فلسطين و مصر، و لم يبق بعمان أحد إلا المجاريح الذين كانوا يتداوا في المسشفى أو في بيوتهم الخاصة التي استأجروها، وإلاسلموهم الى الفرنسيين. و هكذا الإنكليز ساعدوا الفرنسيين لأن الأجنبي دائماً ينظر إلى مصالحه و صالحه، و كل مساعداته مبنية على مصالحه و نفعه، و لا يمكن لأجنبي أن يساعد عربي بدون علة أبداً.



بعض أفراد المقاومة

اعتداء الفرنسيين على سوريا بعد اعترافهم باستقلالها

عندما حضر الجيش الإنكليزي و الفرنسيين الديغوليين لطرد الفرنسيين الفيشيين من سوريا عام ١٩٤٢ قطعوا عهداً للسوريين على لسان الجنرال كانروا الفرنسي بإلغاء الانتداب و إعلان الاستقلال التام و كفل هذا العهد وضمنه الإنكليز و عليها السوريين ساعدوهم بكل الممكن لطرد الفيشيين وأحجموا عن مساعدة الفيشيين، و بعد أن انتصروا على الفيشيين، و حصل لهم كل ما أرادوه، بدؤوا بنغمة عمل معاهدة مع الحكومة السورية، على أن يكون لهم بسوريا مقاماً ممتازاً، فأبت الحكومة السورية و على رأسها الرئيس الأول فخامة رئيس الجمهورية شكري بك القوتلي أن تجعل للفرنسيين أي مقام ممتاز، أو تربط نفسها بمعاهدة تخل باستقلال البلاد و تكبلها، فبدأ الفرنسيين يكشرون أنيابهم و يجرون كل شيء مضر للبلاد، و أرادوا أن يكبلوا البلاد بواسطة الجنرال بينيه الذي كان قائداً للجيش الفرنسي بالشرق الأوسط، و الذي ذهب لباريس و بقي فيها مدة كبيرة، و أخيراً حضر بتعليمات من ديغول للمذاكرة مع الحكومة السورية، و أراد أن يملي إرادته وأوامر الجنرال ديغول أملا لعقد المعاهدة كما يريدوا الفرنسيين، فرفضته اكومة فخامة الرئيس الأول حفظه الله، و لم يقبلوا أن يعملوا أية مذاكرة معه، و عليه الفرنسيين أرادوا أن يشددوا الانتداب الذي لم تعترف فيه البلاد من ربع قرن، و رفضته بشمم و إباء في كل مناسبة، و في المراجعة الأخيرة في مايس عام ١٩٤٥ لم تعترف لهم بشيء، و عليها الفرنسيين بدؤوا يتهددون الحكومة، فقامت البلاد قومة رجل واحد، و بدأت المظاهرات من تلامذة المدارس و من الشعب بصورة صاخبة، و بدأ الفرنسيون بحيلة محافظة الأمن يخرجون دورياتهم و تضرب المتظاهرين، و قتلت و جرحت منهم كثر، فاشتدت الخالة إلى يوم ٢٧ مايس عام ١٩٤٥ بالساعة الخامسة بعد الظهر و كان مجلس النواب مجتمع، فأراد الفرنسيون أن يفاجئوهم ويضربوهم و يقضوا عليهم،و على كل حركة وطنية، و يستعمروا البلاد ويقتلوا رجالها.

فقاموا بهجوم مفاجئ على الحكومة و البرلمان و الدرك، و الطيارات تضرب دمشق و الدوائر و البلاد من الجو، و المدافع تضرب من قلاع المزة و من ثكنة المدافع التي بجوار شارع ابن الوليد، و الرشاشات تلعلع من كل

طرف و البنادق، فظنوا أنفسهم هؤلاء الجبناء أنهم بحرب المارد أمام الشعب الأعزل، الذي ما عنده سلاح إلا بعض السلاح النادر مع بعض أفراده، والدرك لم يأخذ أمراً بالقتال و المقابلة إلا بعد أن قتل و جرح منه عدد ليس بقليل.

و رأس الحكومة السيد جميل مردم بك وصله خبر المفاجئة قبل وقوعها بقليل، فأخطر النواب و انسحبوا من المجلس و الحمد لله، و دام الحرب طيلة ليلة ٢٨ مايس إلى الصباح، و من الصباح الى المساء و أذناب الجبناء وجنودهم السرق الأشقياء، كسروا بعض المخازن و نهبوها بشارع الصالحية، و خاصة بشارع رامي، و أشعل بشارع رامي النيران بعد أن سرقوها، فاحترق قسمه الشمالي كله مع جامع دنكز، و لولا بعض الرجال أصحاب الشهامة و المروءة و الشجاعة من سوريين و دروز، الذين ثبتوا أمام سوق الحمدية و ردوا جنود الفرنسيين السرق و منعوهم من الوصول لسوق الحمدية، فسلم سوق الحمدية و سوق مدحت باشا، و لكن المدافع أصابت قسم من جامع الأموي و مؤخر سوق الحمدية، و أصابوا عدة بيوت جوار النوفرة و العصرونية، و الطائرات هدمت سجن القلعة و قتلت كثير من الرجال و النساء، فانجبر السجان لفتح أبواب الحبوس لتخليصهم، و فر الجميع الذين بقوا سالمين، و أكثرهم محكومين من شتى الأحكام، و ليلة الجمعة من ٢٩ مايس أيضاً دام الحرب بشدة إلى نصف الليل و استمر إلى الصباح متقطع، و الفرنسيين عليهم ما يستحقوا بأمر سفاحهم الجنرال أوليفيه روجيه أحاطوا البرلمان، و وضعوا المدافع على مسافة أقل من مائة متر وضربوه و رشاشاتهم تضربه أيضاً من سطوح نادي الضباط الذي بجانبه، وهدموا الركن الشمالي الشرقي، و صدعوا جدرانه و كسروا أبواب البرلمان أي الندوة النيابية، و قتلوا من فيها و مثلوا بهم بعد أن استسلموا و لم يسلم منهم إلا شخصين جرحوا، و أحدهم قدور عمل نفسه أنه مات، و فلتوا جنودهم من حركس و سنكال، و أباحوا لهم كسر المخازن و نهبها. و الأمة كانت تحاربهم بكل شدة بالسلاح الذي تداركوا أكثره من الدرك.

توقيف اعتداء الفرنسيين من قبل الإنكليز

و في اليوم الثالث صباح الجمعة، تدخل الإنكليز بالمسألة و أوقفوا الفرنسيين عند حدهم، و طردوهم إلى ثكناتهم و أخذوا السفاح أوليفا روجيه الذي أمر بضرب البلاد، و أركان حربه من دائرة رئاسة الأركان الحربية التي مقابل البرلمان، و التي يحصنوا بها و لم يريدوا الخروج منها، و لكن الإنكليز خربوا بابها بمدفع الدبابة و كسروه و دخلوا، سحبوهم منها سحب ذي الأغنام، و اقتادوا هؤلاء الكلاب الظلام إلى محل وضعوهم فيه تحت النظارة، و كانت سيارة أوليفا روجه واقفة أمام الدائرة، ففتحوها فوجدوا فيها الثريا الخاصة بالبرلمان، وقد نهبوها و وضعوها بسيارة السفاح أوليفا روجه رئيس الحرمية المجرمين.

و كانت مداخلة الإنكليز هذه لإيقاف العدوان الفرنسي جرت على إثر أمر طلب فخامة شكري بك القوتلي للإنكليز، و ذكرهم بضمانهم و كفالتهم لاستقلال البلاد، و دعاهم فخامته للوفاء بالعهد، و محافظة الاستقلال الذي ضمنوه، و فيها حالاً تداخلوا و أجروا اللازم كما ذكرنا، فبعد أن أخرجوا الثريا خاصة البرلمان من سيارة السفاح هجمت الأهالي على السيارة وأحرقوها بانزين، وأنهى الإنكليز هذه المسألة الخبيثة التي كان أوليفا روجه حسب الأوامر السرية التي بلغها للجيش الفرنسي يريد بها ، القضاء على الحكومة و النواب و رجالات سوريا المنورين ويستعمر البلاد و يستعبدها، قاتله الله و أهلك الفرنسيين و أرانا بهم يوماً أسود و خلص البشرية من شرهم.

بدأ الإنكليز يسفرون القطع الفرنسية من سوريا بصورة تدريجية و يسلم ثكناتها للحكومة السورية، و في بحر عشرة شهور أخرجهم من جميع البلاد السورية و حلوا عنها تماماً إلى حيث ... لا ردهم الله و كانت ضحايا العدوان الآثم تزيد عن الألف و خمسمائة بين قتيل و جريح من الجند و الأهالي.



شهداء مقاومة الإحتلال الغاشم

استسلام ألمانيا و اليابان بلا قيد و شرط
انتهاء الحرب العالمية الثانية

و بعد وقوع العدوان الفرنسي الأخير على البلاد بأيام قلائل، انتهت الحرب في أوربا و سلمت ألمانية بلا قيد و لا شرط في ١٩٤٥/٥/٧ و خلصت البشرية من الحرب و الشر المستطير الذي أهلك البلاد و العباد في أوربا ، وتجاوزها و لم يبق إلا حرب اليابان و الحلفاء تحضروا لإنهائها أيضا بسرعة، و في ١٩٤٥/٨/٦ ألقى الحفاء على هيروشيما قنبلة ذرية أهلكت الحرث و النسل، و بعدها ألقوا قنبلة ذرية أخرى على محل ناغازاكي في اليابان بتاريخ ١٩٤٥/٨/٩، فدمروه و أهلك أهله، و عليها إستسلمت اليابان بلا قيد و لا شرط، و انتهت الحرب و الحمد لله بسلام الذي أهلك البشر و دام قرابة الست سنوات.

عيد الجلاء عن سوريا لجلاء جميع الأجانب عنها

و في شهر نيسان ١٩٤٦ جلت الفرنسيين و الإنكليز تماماً عن سوريا و لم يبق أي جندي أجنبي في البلاد، و عليها أجري عيد الجلاء في ١٧ نيسان ١٩٤٦ بصورة مدهشة، و حضرت لهذا العيد وفوداً و هيئات من جميع البلاد العربية للاشتراك بهذا العيد، و فصائل من الجند من العراق و مصر و شرق الأردن و لبنان، و حضرت أيضاً طيارات من مصر و من العراق، و من اليمن حضر وفداً برئاسة سمو سيف الإمام عبد الله بن جلالة الإمام.

و أجري مهرجان عظيم احتفالاً بجلاء الغاصبين المستعمرين عن البلاد، وأجري استعراضاً للجيش السوري مع الفصائل التي حضرت من البلاد العربية بصورة رهيبة، دام الاستعراض ما يقرب من ساعتين، و أصبحت البلاد بعد الجلاء التام حرة مستقلة استقلالاً تاماً ناجزاً بفضل جهادها و سعي رئيس الجمهورية السورية شكري بك القوتلي، و تضحيات الأمة السورية حكومة و شعباً تضحية لم يسبق لها مثيل بالتاريخ، و الحمد لله على التمام وخلاص البلاد من الغاصبين الأشرار.

تمكني من نشر فاجعة ميسلون

و بعد أن أنعم الله على الأمة السورية بجلاء الفرنسيين الغاصبين، وطهرت البلاد من رجسهم، و نزوح جميع الأجانب من البلاد أيضاً، تمكنت من نشر فاجعة ميسلون، لأن كثراً من إخواني المحاربين القدماء، و كبعض الرجال من الشعب، رحوني أن أنشر هذه الفاجعة، بعد نزوح الفرنسيون، لأن حين وجودهم في البلاد كان من المستحيل نشرها.

نزولاً عند رغبة الأخوان الأعزاء نشرنا هذه الفاجعة الأليمة المسطرة في بدء مذكراتي عن البلاد العربية بجريدة البعث الغرأ الحرة الجريئة التي نشرت بعددها تاريخ ٢٤تموز ١٩٤٦ قسم شهادة بطل ميسلون معالي وزير الحربية لحكومة فيصل الأول السورية، و نشرت الفاجعة من أولها إلى آخرها في أعدادها التالية تاريخ لعدد ٢٤تموز ١٩٤٦

تسلمي علم العقاب
بحفل رسمي من قبل جلالة الملك فيصل الأول

عندما أعلن جلالة الملك فيصل ملكاً على سوريا عام ١٩٢٠ و كنت آنذاك للواء الأول المساة المنسوب للفرقة الأولى النظامية، فرقة دمشق التي كانت بقيادة الزعيم الركن حيى حياني بك، أمر جلالته بعمل علم عربي إلى اللواء الأول الذي كنت قائده، فعمل هذا العلم و كتب عليه آيات قرآنية بالذهب والفضة، و كان معمولاً من أغلى قطع الأطلس الحرير، فكلف الحكومة إذ ذاك ١١٦ جنيهاً مصرياً، و كانت لجنيه المصري تعادل الجنيه الإنكليزي الذهب، لا تنقص عنها سوى قرشين، و عمل للعلم بنود حديد مضفورة بشكل العلم العربي و ألوانه، و عمل له الحربة و الصافية الرمح و حمالة بطرز جميل جداً، و بعد أن أكمل و رآه صاحب الجلالة، أمر أنه سيسلم العلم ثاني يوم بالمزة باحتفال رسمي، بحضور الحكومة و قواد الجيش إلى اللواء الأول المشاة.

و ثاني يوم خرجنا لساحة المزة، و اصطف اللواء الأول و جوقة الموسيقى، فحضر جلالته مع وزير الحربية يوسف بك العظمة، و هيئة الحكومة و قواد الجيش و شقيق جلالة سمو الأمير زيد بن الحسين، و بعد أن

أجريت مراسم التحية دعاني جلالته، فحضرت أمام جلالته، و بما أن سمو شقيق جلالته الأمير زيد كان قائداً فخرياً للواء لأول الذي أنا أقوده، فوقفت بجانب زيد و حضر العلم، فسلم الجميع عليه و حيته الموسيقى، فمسك جلالته العلم من رمحه بيده الكريمة و قال: يا زيد استلم هذا اعلم و سلمه إلى تحسين فهذا علم لوائكم الأول و قد أسميته العقاب، فيلزم أن تحافظوا عليه إلى آخر نقطة من دمائكم، و لا تساعدوا أن تطله يد أجنبية أو تدنس شرفه و كرامته.

فاستلم الأمير زيد العلم و سلمني إياه، و قال احلف اليمين اللازم من أجل العلم، فأقسمت بالله و بشرفي العسكري أنني سأحافظ على هذا العلم أنا وجميع ضباط و جنود العلم الأول، و نفديه بأرواحنا، و أننا سنحفظ شرفه وكرامته، و لا نساعد ليد أجنبية أن تطله، و بسبيل محافظه عند اللزوم ستهرق آخر نقطة من دمائنا و الله على ما أقول وكيل.

و سلمته إلى نائب العلم الذي ذهب به إلى يمين اللواء، و انتهت المراسم بعرض عسكري أجريناه مع اللم أما صاحب الجلالة

توليتي لقيادة الفرقة الأولى بدمشق

و بعد شهرين من تسلمي علم العقاب، عينت قائداً للفرقة الأولى، و عين قائد اللواء الأول لواء العقاب المقدم حسن ك الهندي، و اشترك علم العقاب في حرب ميسلون، فاستبسلت المتطوعون بوجوده، و بعد حرب ميسلون رقعت رمحه و سلمته لنائب العلم محمد العرايش من محلة الشاغور ليخفيه، و أخفيت نفس العلم مع حمالته و بنوده و صافيته بعد وضعهم في بقجة كبيرة، أي بمصر كبير بحفرة بالجنينة بداري، و لم أظهر أي أثر للحفرة يدل على أن هناك حفرة، فبعد أن تمكن الفرنسيون من الإقامة بدمشق، بدؤوا يبحثون عن العلم، و أرسلوا لي أذنابهم من أجله، و تعهدوا بإعطائي مبلغ كبير إن سلمتهم علم العقاب، فأنكرت عليهم وجوده، فهددوني و توعدوني فلم يفلحوا، و عليها نقلته لدار والدي بمحلة الشاغور ---- و حفظته بمحل أمين، و الفرنسيين سعوا مع مرافقي إذ ذاك الرئيس حسني بك البحرة قائد لواء الدرك الأول السوري حالياً بدمشق، و وعدوه بإكرام و ترفيع إذا دلهم على علم العقاب، فقال لهم لا أعلم أين و، فهددوه و حرموه من الترفيع مدة كبيرة من أجل العلم المذكور، و علم أن مرادهم أخذه إلى متحف باريس ليشهروه

بأنه أول علم لجيش الملك فيصل الأول بسوريا، ليفتخروا به أمام العالم، لذلك كانوا مستعدين أن يدفعوا مبالغ كبيرة لينالوه فلم يتوقفوا، و احتفظت به والحمد لله سبعة و عشرون عاماً تقريباً.

تشبثي لإهداء علم العقاب إلى المتحف الوطني السوري دمشق

و بعد جلاء الفرنسيين عن سورية بخمسة شهور، تذكرت العلم المحفوظ عندي من سبعة و عشرون سنة، فقلت الأحسن أن أهدي هذا العلم التاريخي إلى المتحف الوطني السوري، طالما البلاد تطهرت من رجس الفرنسيين، و لا عاد خوف من إظهاره و تسليمه للمتحف، لأخلص من لأمانة التي بعنقي من أجله.

و في ١٠ شعبان ١٣٦٥هـ ٩ تموز ١٩٤٦م، هبت لوزارة المعارف الجليلة، لزيارة الأخ الكريم المجاهد معالي وزير المعارف الأمير عادل أرسلان، و إذا بسعادة ساطع بك الحصري حضر و سلم علي، و سألني عن علم العقاب، فقلت له محفوظاً عندي، فقال مرادي رسمه، فقلت لسعادته شرف لداري متى ما شئت، فسأل معالي الوزير الأمير عادل بك أرسلان: أي علم هذا؟.. فأعلمت معاليه، فحبذ إهداءه إلى المتحف الوطني السوري بدون تأخير، فوعدت معاليه أنني غداً سأراجع فخامة الرئيس الأول شكري بك القوتلي من أجل إهدائه للمتحف، و فعلاً كتبت كتاب بتاريخ ١٠ تموز ١٩٤٦ /١١ شعبان ١٣٦٥ لفخامة شكري بك و ذهبت لزيارة فخامته، فعرضت له مسألة العلم، و قدمت له الكتاب، فتهلل وجهه و شكرني على وفائي، و قال الآن سآمر وزير الدفاع ليحضر لعندك للدار غداً، و يستلم العلم إن شاء الله، فشكرته على لطفه و تقديره و عدت لداري، و أحضرت العلم ثاني يوم وانتظرت تشريف الوزير، فلم يحضر، و علمت أنه سافر لمصر من أجل تعديل قيمة المعدات الحربية، التي اشترتها الحكومة السورية من الحكومة الأمريكية، و مضت مدة، و في ٢٣شعبان١٣٦٥ وصلني كتاب من فخامة رئيس الجمهوري، و إليكم نصه بالحرف:

جواب فخامة رئيس الجمهورية من أجل العلم إلي

الجمهورية السورية
الرئيس

سعادة الفريق تحسين باشا الفقير الأكرم

اطلعت على كتابكم المؤرخ في ١٠ تموز ١٩٤٦ و ١١ شعبان ١٣٦٥ وإني إن أبلغكم تقديري لهذا الوفاء العظيم نحو الأمانة الغالية التي ائتمنكم عليها المغفور له جلالة الملك فيصل و التي كنتم خير من ائتمن و حافظ على مثلها، يسرني أن أعلمكم بأنني طلبت إلى وزير الدفاع الوطني استلام العلم العزيز و إيداعه في المتحف الوطني تخليداً لهذا الأثر القيم، و السلام عليكم ورحمة الله.

دمشق في ٢٣ شعبان ١٣٦٥
شكري القوتلي

فبعد وصول كتاب فخامة الرئيس الأول إلي أخذته و ذهبت لزيارة معالي وزير الدفاع الوطني، فاجتمعت برئيس أركان الجيش السوري سعادة الزعيم عبد الله بك عطفة، و سألته عن تأخرهم عن أخذ العلم، فقال حصل عندنا أشغال و موانع كثيرة، و لكن الآن نهب سوياً لعند معالي وزير الدفاع و نقرر وقت استلامه، فذهبنا لعند معالي وزير الدفاع أحمد بك الشرباتي، فسلمت عليه و أعلمته بكتاب فخامة الرئيس الأول و أريته إياه، فقال نحن أيضاً باسم الجيش و قواده نشكر وفاءكم و نشارك فخامة الرئيس الأول بتقديره لسعادتكم، و عندها أمر رئيس أركان الجيش أن يرسلني بسيارة لعند قائد اللواء الأول للجيش الوري، المقدم حسام الدين بك عابدين، و تقرر منه يوم تسليم العلم للمتحف.

فحالاً حضرت السيارة و ذهبت أنا و المقدم جميل بك الدهان، و ذهبنا إلى مقر اللواء الأول بجوار الثكنة الحميدية بطريق المز، و اجتمعنا بقائد اللواء الأول المقدم حسام الدين بك عابدين، فرأيت منه كل لطف، فقرنا معه أن يشرف لداري ثاني يوم و يحضر معه الرجل الذي سيعمل الرمح للعلم، فثاني يوم حضر لداري مع الرجل و أخذ قياس العلم و ذهبا، و وعد بأنه سيأتياني

بالرمح قريباً، و فعلاً بعد كم يوم حضرا و معهما الرمح، دككوا العلم فيه ورتبا له جميع أقسامه، فظهر كأنه الآن خالص جديد من العمل، لأنه من بعد حرب ميسلون كان محفوظاً و مخبأً، لذلك يرا كأنه جديد، و وضعناه بزاوية غرفة الضيوف و ذهبا، و وعدني حسام الدين بك أن التسليم سيقع بعد عودتهم من امتحان المدرسة الحربية في حمص، و أنه سيخبرني.

تسليم العلم إلى السرية المرتبة و أخذه إلى المتحف الوطني

و في ١٩٤٦/٩/٢٤ وصلتني صورة عن أمر قائد اللواء الأول من أجل استلام العلم من داري و إليكم نص الأمر حرفياً:

الجيش السوري قيادة اللواء الأول الشعبة الثالثة
رقم ٣/٩٦٢

أمر إداري

تشكل سرية لجلب علم الجيش في زمن المغفور له جلالة الملك فيصل الأول من دار الفريق تحسين الفقير الكائنة في محلة عرنوس حارة التكريتي إلى المتحف و ذلك بتاريخ ٩٤٦/٩/٢٨ تتألف هذه السرية من:

١. موسيقى الجيش
٢. فئتان من فوج المدرع الأول (كل فئة من ٣٠ جندي) الفئة الأولى بقيادة الملازم شبيعة، و الثانية بقيادة الملازم محي الدين رحمة.
٣. فئة من فوج المدفعية الأول (٣٠جندي) بقيادة الملازم وديع مقعبري.
٤. فئة من سرية مقر اللواء (٣٠ جندي) مع ضابط.

يتألف الحرس من:

١. الملازم الأول محمد جديد – حامل العلم
٢. الملازم الأول عارف عبجي } مع سيفه حرسا للعلم
٣. الملازم فهمي سلطان } مع سيفه حرساً للعلم
٤. يعين ثلاثة نقباء من فوج المدرعات الأول بالسلاح يسيرون وراء حرس العلم. الفئات المرتبة مع حامل و حرس العلم ينتظرون أمام بحرة شارع بغداد في تمام الساعة ٧,٣٠ من ٩٤٦/٩/٢٨ حيث تلتق بهم موسيقى الجيش و تسير هذه المفرزة بقيادة الملازم الأول باصيل صوايا إلى دار الفريق تحسين الفقير، و يجب أن تكون هناك في تمام الساعة الثامنة قبل الزوال.

٥. بواقين الفوج الثاني للمشاة مع بقية الفئات يجتمعوا في باحة سرية مقر اللواء في الساعة ٨,١٥ من نفس لتاريخ و يسيروا إلى المتحف في الساعة ٨,٣٠ بقيادة الملازم أول قوشجي (ضابط من أركان اللواء يكون هناك و يعين أماكن الفئات حسب تعليمات قائد اللواء الأول)

- اللباس -

أ- الضباط بنطال ركوب بيج أو كتان - ساق جلدي – قميص كتان- نطاق مع حمالة- عمرة- سيف- كفوف.

ب- النقباء- قميص صوف- بنطال قصير-ساق كتان مع كاسيه-ساق صوف-عمرة- الجعب مع حمالاتها

ج- الجنود- قميص صوف- بنطال قصير-ساق كتان مع كاسيه- ساق....فيصلية- الجعب مع حمالاتها.
السلاح ــ موحد بدن رشيشا ت

يدعى كافة ضباط موقع دمشق لحضور هذا لحفل

<u>المرسل إليهم</u>

الفريق تحسين باشا الفقير

الختم

الجيش السوري
قائد اللواء الأول
المقدم

حسام الدين عابدين
الإمضاء : حسام الدين

فبعد أخذي صورة هذا الأمر الإداري أعلاه تحضرت صباح ٩٤٦/٩/٢٨ لاستقبال السرية المرتبة مع جوقة الموسيقى لأخذ اعلم، و في الساعة الثامنة صباحاً وصلت السرية مع جوقة الموسيقى لأمام داري، و وصل قائد اللواء المقدم حسام الدين بك عابدين بسيارة خاصة، و أجرى مراسم التفتيش على السرية حسب الأصول، و دخل حرس العلم للدار، و استلم العلم، و عند خروجه من الباب سلمت عليه السرية، و صدحت الموسيقى، و دخل الحرس مع العلم أمام السرية، و توجهت من طريق عرنوس، جادة الصالحية، شارع فؤاد، و من أمام أورينت بالاس و محطة الحجاز الحديدية، إلى جادة الكلية الطبية، إلى المتحف الوطني، و ركبت أنا و قائد اللواء السيارة، و سبقناهم إلى باحة المتحف المذكور، فوجدنا كل شيء مهيأ لاستقبال العلم، أي الفئات مصطفة و مرتبة مع البواقين، و ضباط موقع دمشق مجتمعين، فوقفنا بجانبهم، فحضر أولاً رئيس أركان الجيش سعادة الزعيم عبد الله بك عطفة، فسلمت عليه الجنود و فتشها و حضر لعندنا، وعقيب وصوله وصل علم العقاب مع السرية المرتبة و حرسه، فسلم عليه من قبل الجيش و جميع الحاضرين، و أخذ مركزه مع حرسه أمامنا، و عقيب ذلك وصل وزير الدفاع الوطن معالي أحمد بك الشرباتي، فسلم عليه حسب الأصول و وصل لعندنا، و بعد أن تبادلنا معه التحية ألقيت الخطاب الآتي:

خطابي عند تسليمه إلى الوزير

معالي الوزير، إخواني الأعزاء.

أقف وقفتي اليوم كوقفتي في أوائل عام ١٩٢٠ بسهل المزة، بحقل عسكري رسمي، أمام بطل العرب المغفور له جلالة الملك فيصل الأول ملك سوريا ابن الحسين، لأستلم هذا العلم المسمى بالعقاب إلى لوائي الأول المشاة الذي كنت إذ ذاك قائده.

و كان صحب السمو الملكي الأمير زيد شقيق جلالة الملك قائداً فخرياً لهذا اللواء، فسلم جلالته العلم إلى شقيقه الأمير زيد بقوله: يا زيد استلم هذا العلم وسلمه إلى تحسين، و إني أسميته العقاب، فهو علم لوائكم الأول، فاحفظوه وصونوا شرفه، و لا تساعدوا على تدنيسه من عدوٍّ أو الحط من شرفه وعلاه.

فاستلمته من سموه و أقسمت اليمين بالله و بشرفي العسكري أنني سأحافظ عليه مع ضباط اللواء و جنوده البواسل إلى آخر نفس، و لا أساعد يد العدو أن تدنسه، و ستهرق آخر نقطة من دمائنا بسبيل محافظته و صون شرفه. وبعدها توليت قيادة الفرقة الأولى التي كان لواءها الأول لواء العقاب.

و وقعت محاربة ميسلون في ٢٤تموز ١٩٢٠ و شترك علم العقاب بهذه المعركة، و بوجوده في المعركة استبسلت الجنود و المتطوعون القلائل اللذين كانوا أقل من قوة عشر الإفرنسين الغاصبين الخائنين، و لم يدنس العلم و الحمد لله، و بعد دخول الإفرنسين دمشق، حاولوا جهدهم بشتى الوسائل بالوعد و الوعد لأخذ علم العقاب لكي يرسلوه إلى متحف باريس، فلم يفلحوا، و فشلت كل محاولاتهم، و احتفظت به إلى الآن، و بما أن البلاد السورية تطهرت من رجسهم، و ذهبوا إلى حيث ... بلا رجعة إن شاء الله بفضل جهود و سعي فخامة الرئيس الأول شكري بك القوتلي و إخوانه المجاهدين الوطنيين، و تكاتف الشعب السوري و تضحياته العظيمة التي فاقت كل تضحية.



تسليم علم ميسلون – العقاب – ٢٨ /٩/ ١٩٤٦

١ ـ الفريق حسن تحسين باشا الفقير (الطقم الأسود) وهو يسلم العلم أمام المتحف الوطني في دمشق ٢ـ وزير الدفاع أحمد الشرباتي (الطقم الأبيض) وهو يستلم العلم.

و في ١٠تموز ١٩٤٦ وقعت لفخامة الرئيس الأول كتاباً رجوت فيه أن أهدي هذا الأثر القيم إلى المتحف الوطني تخليداً لذكره، فوافق فخامته بكل سرور، و في ٢٣شعبان ١٣٦٥ تفضل فخامته حفظه الله و أبقاه بجواب على كتابي رقيق و قيم جداً، يقدر فيه محافظتي للأمانة حق التقدير، و يعلمني أنه طلب إلى معالي وزير الدفاع الوطني استلام العلم العزيز، و إيداعه في المتحف الوطني السوري تخليداً لهذا الأثر القيم.

و عليها حسب أمر فخامته، لي الشرف أن أتقدم و أسلم لمعالي وزير الدفاع الوطني الأفخم بحضور سعادة رئيس أركان الجيش السوري الفتي و بعض قواده و جنوده لبواسل هذا الأثر القيم لإيداعه بالمتحف الوطني تخليداً لذكره، و أرجو الله حفظاً لاستقلال البلاد السورية العزيزة أن يوفق معاليكم بمعاونة قوادكم بأقرب وقت لتنظيم و إحضار جيش قوي، تكامل عدده و معداته الحديثة، ليفرح له الصديق، و يهابه العدو، و السلام عليكم.

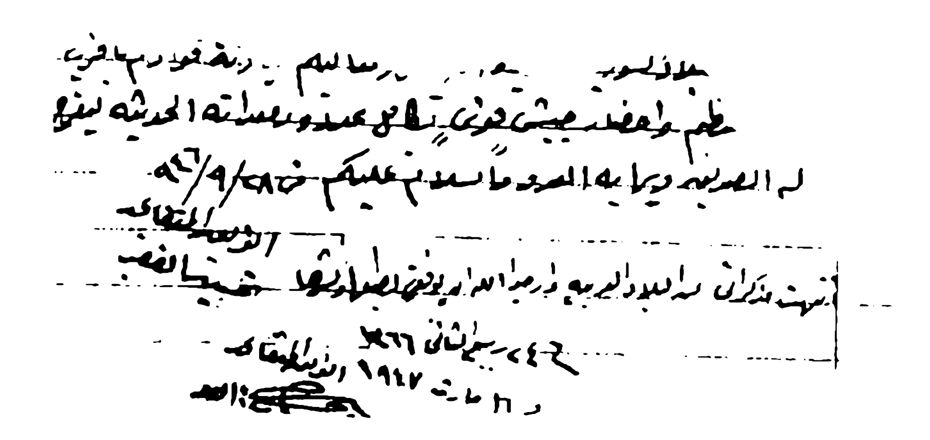
في ٩٤٦/٩/٢٨

الفريق المتقاعد

تحسين الفقير



قائد فرقة النصر الحربية في زمن الملك علي بن الشريف حسين



انتهت مذكراتي عن البلاد العربية و أرجو الله أن يوفقني لطبعها و نشرها

٢٤ ربيع الثاني ١٣٦٦

و ١٦ مارس ١٩٤٧

حسن تحسين باشا الفقير

الفريق المتقاعد

وقد انتقل إلى رحمة الله المرحوم حسن تحسين باشا الفقير

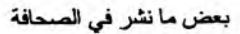
بتاريخ ٢١ / ٧ / ١٩٤٨ م.

صفحات مشرقة من تاريخ عريق

«أوراق من ميسلون»







بعض ما نشر في الصحافة

معركة ميسلون

مذكرات حسن تحسين الفقير قائد الفرقة السورية الأولى التي دافعت عن دمشق في ميسلون .. وثيقة تذاع لأول مرة وتحيط بكل جوانب المعركة

تفاصيل استشهاد ودور البطل يوسف العظمة في موقعة ميسلون

بعض ما نشر في الصحافة

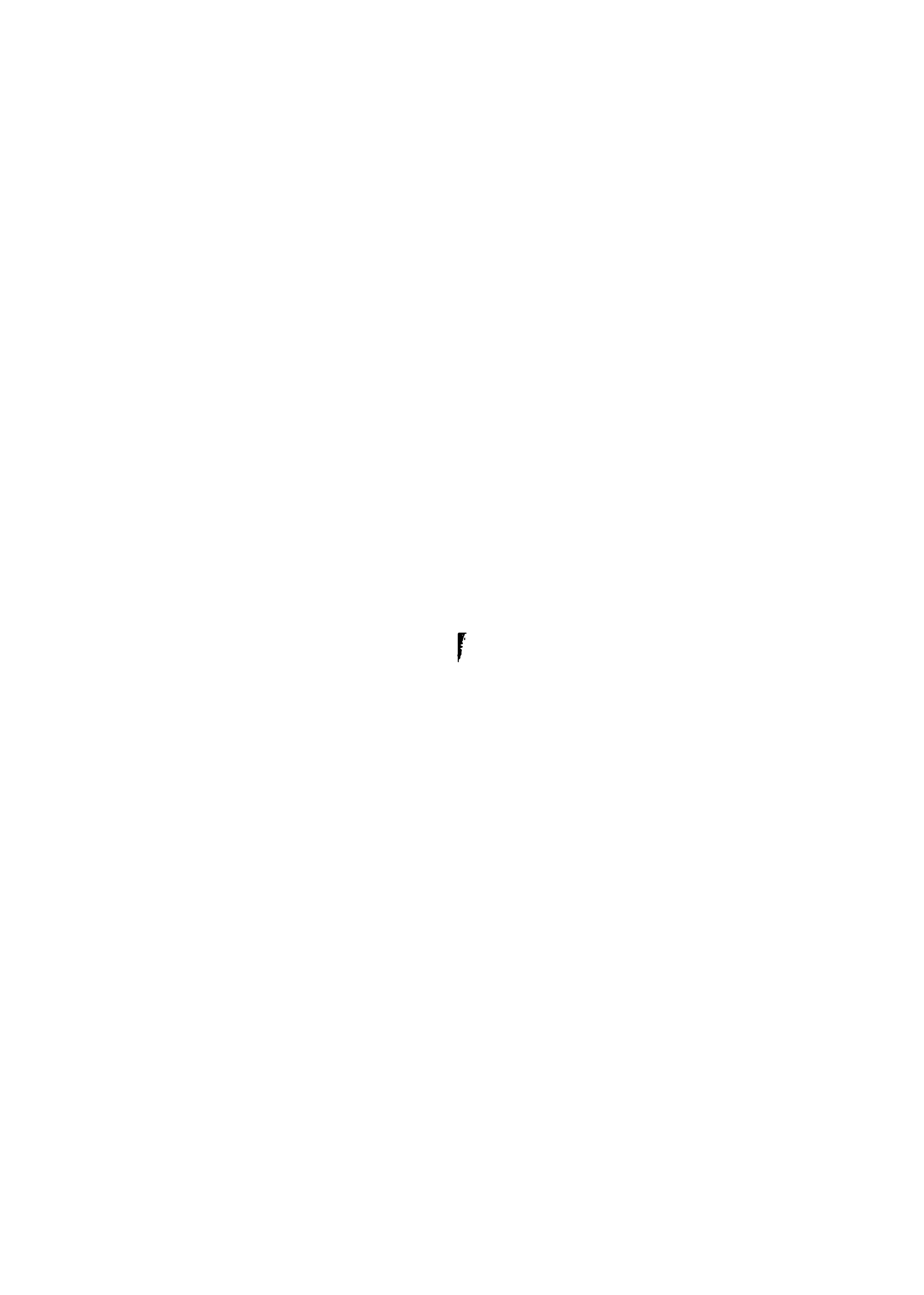
محتويات الكتاب

نيسان / ٢٠١٢

طبعة ٢٠٠٤

Issam Fakir

١٢٨



كلمة الكاتب



بمناسبة مرور السنة الأولى من عهد الحرية والكرامة والاستقلال لذكري معركة ميسلون، بعد خمسة وعشرين عاما من الكبت واغتصاب الحرية والعدوان الدائم، ونظرا لما لمعركة ميسلون من ذكرى خلقت في قلب كل عربي سوري الأسى والألم والتصميم على الثأر ومواصلة الجهاد حتى تحقيق العزة والكرامة والاستقلال في كافة أقطار العروبة ولما كان ما نشر أو ذكر حتى اليوم عن معركة ميسلون لا ينطبق تمام الانطباق على الحقيقة والأمر الواقع، ولما كنت قائدا للفرقة السورية الأولى التي كلفت بالمحافظة على العاصمة السورية والدفاع عنها وعن منطقة مجدل وعنجر ويحفوفة من قبل، ونظرا لاتصالي الوثيق بكل ما لابس المعركة المذكورة أو رافقها من سوابق وتوابع، وبما أن تلك الفترة الحماسة الدقيقة من تاريخ سورية العزيزة وجهادها ونضالها الدائم يجب أن تظل ماثلة على حقيقتها في أذهان السوريين خاصة والعرب عامة للعبرة والذكرى والتاريخ، لذلك كله أحببت أن ادون مذكراتي في البلاد العربية بكتاب ليطلع عليه الخاص والعام.

الفريق حسن تحسين باشا الفقير

طبعة ٢٠٠٤